

وادى العناكب

بقلم: هـ . ج . ويلز
ترجمة وإعداد :
د. أحمد خالد توفيق

روايات عالمية للجيب

سلسلة جديدة ، تقدِّم لك أروع ما يزخر به الأدب العالمى ، فى مختلف صنوفه ..

من الألغاز البوليسية إلى الرواية الرومانسية ..

من عالم المغامرات إلى آفاق الخيال ..

من الفروسية إلى دنيا الأساطير ..

ومن الشرق إلى الغرب ..

وإلى الحضارة ..

وإليك ..

د. نبيل فاروق

المؤلف

مازلنا إذن مع (هربرت جورج ويلز) الكاتب الإنجليزى فائق الشهرة .. وكنا قد تحدثنا عنه فى عجالة فى مقدمة الكتيب السابق ، ولهذا نواصل الحديث عنه ها هنا من وجهة نظر أخرى ..

فى صبا هذا الكاتب قذف به أحد الأولاد الكبار فى الهواء .. ومن ثمّ سقط أرضًا وتهشمت ساقه . وكان على الصغير أن يرقد فى الفراش شهورًا يتلوى ألمًا ..

تبدو هذه كارثة .. لكنها بالنسبة لـ (هـ . ج . ولز) كانت أسعد حوادث حياته ؛ لأنها أرغمته على ممارسة التسلية الوحيدة للمقعدين قبل اختراع التليفزيون : القراءة .

وكانت نشأة (ولز) فقيرة للغاية ؛ بدأ حياته فى محل لبيع القماش - وهو ما استوحى منه تحفته الروائية (كيبس) - ثم فى صيدلية .. وفى النهاية فرّ من هذا الجحيم وكتب خطابًا يستعطف فيه ناظر مدرسته القديمة .. وقبل هذا الأخير أن يُعيِّن (ولز) معلمًا عنده .

بعد هذا أصيب بثقب فى رئته بعد مباراة كرة قدم عنيفة .. وكان لإصابته الأولى الفضل فى إرغامه على (القراءة) .. أما إصابته الثانية فأرغمته على (الكتابة) ..

خمسة أعوام ظل يكتب فيها ، انتهت بأن حرق كل ما كتب لرداءته !.. ثم إنه تزوج وواصل محاولات الكتابة فى حماس غير مسبوق إلى درجة إخراج كتابين طويلين كل عام .. وبدأ يرضى عن أعماله ..

وفى كتاباته نجد تنوعًا غير عادى فى مجالات اهتمامه .. فهو مولع بعلم الأحياء لهذا كتب (مرجعًا فى الأحياء) عام ١٨٩٣ .،، وهو يعشق الخيال العلمى .. (العضوية

المسروقة) عام ١٨٩٥ .. و (آلة الزمن) عام ١٨٩٥ (جزيرة د . مورو) عام ١٨٩٦ .. (الرجل الخفى) عام ١٨٩٧ .. (حرب العوالم) عام ١٨٩٨ .. (أول رجال على القمر) عام ١٩٠١ ، ثم كتب عن المشكلات الاجتماعية (توقعات) عام ١٩٠١ .. (كيبس) عام ١٩٠٥ .. (يوتوبيا الجديدة) عام ١٩٠٥ .. و (تونى بانجى) و (آنا فيرونيكا) عام ١٩٠٩

وفى عام ١٩٠٣ انضم للحركة الفابية (الحركة الاشتراكية التى تدعو للتغيير التدريجى ، والتى كان برنارد شو عضواً فيها) ..

وفى عام ١٩١١ بدأ خط جديد من خطوط إبداعاته يتمثل فى قصصه : (ميكيافللى الجديد) ـ (الزوج) ـ (أصدقاء عاطفيون) ـ (الزوجة لسير إبراك هارمان) .

و أيد (ولز) الحرب العالمية الأولى على أساس أنها (الحرب التى ستنهى الحروب جميعًا) ، وقاد حملة الدعاية ضد الألمان فى أثنائها ، لكن هذا لم يمنعه ـ عام ١٩١٦ ـ من كتابة قصة شهيرة هى (مستر برتلنج يتبين الأمر) ..

بعد الحرب كتب (خلاصة التاريخ) عام ١٩٢٠ .. ثم (علم الحياة) عام ١٩٢٩ .. ثم (العمل والثروة وسعادة البشرية) عام ١٩٣٢ .. كان يبشر بعالم واحد متكامل يبعد شبح البربرية والعدمية ..

وفى عام ١٩٣٤ كتب قصة حياته وسمّاها (تجربة فى الحياة) .

وجاءت الحرب العالمية الثانية لتفقده ؛ إيمانه بالجنس البشرى الذى فقد التحكم فى ذاته ، ومشى بخطا حثيثة نحو الهلاك ..

وتوفى العبقرى عام ١٩٤٦ بعد ما أثرى الأدب العالمى بقصص ومقالات لا تنسى .. ربما لم تكن عميقة كلها .. لكنها بالتأكيد فائقة الإمتاع .

د . أحمد خالد



١ ـ فى الهاوية ..

وقف الملازم يتأمل الكرة المعدنية وهو يلوك قطعة من جذر الصنوبر ..

وتساءل :

ـ « ما رأيك يا (ستيفنز) ؟ »

ردّ (ستيفنز) بأسلوب رجل يتمتع بعقل متفتح :

ـ « إنها فكرة .. »

ـ « أعتقد أنها ستتهشم .. »

ـ « يبدو أنه قد أجرى حساباته بدقة ..»

قال الملازم :

ـ « ولكن فكر فى الضغط .. إنه يساوى أربعين رطلاً على كل بوصة عند سطح الماء .. ويتضاعف على عمق ثلاثين قدمًا .. وعند تسعمائة قدم ، يصير أربعين ضعفًا .. وعلى عمق ميل يصير مائتين وأربعين ضعفًا .. معنى هذا يا (ستيفنز) أن الضغط على كل بوصة سيكون طنًا ونصف طنّ ..!.. والرجل ينوى أن يهبط إلى عمق خمسة أميال .. »

ـ « يبدو كثيرًا » .. قال (ستيفنز) :

ـ « لكن هذا الصلب سميك حقًا »

لم يأت الملازم بردّ ..

كان الرجلان يتحدثان عن كرة من الصلب لها محيط تسعة أقدام كأنها قذيفة مدفع عملاق ، وكانت معلقة على روافع تتدلى من ونش ضخم ، مما أعطى للقارب مظهرًا أثار الحيرة فى نفس كل بحار يحترم نفسه يرى هذا المنظر .. منذ أن غادر القارب حوضه فى (لندن) حتى وصل إلى مدار الجدى ..

كانت هناك نافذتان دائريتان سميكتا الزجاج فى موضعين من الكرة ، وكانت واحدة منهما مفتوحة الآن عن طريق انتزاع المسامير التى تثبت إطارها ..

كان الرجلان قد رأيا قلب الكرة اليوم .. كانت ملأى بالوسائد الهوائية .. وقد تم تغليف كل شىء بهذه الوسائد حتى جهاز (مايرز) المخصص لامتصاص حمض (الكربونيك) ، وتجديد الأوكسجين الذى سيستهلكه الركاب ..

كان عدد الوسائد هائلاً حتى إنك يمكن أن تطلق رجلاً من ماسورة مدفع إلى داخل الكرة فلا يصاب بسوء .. إن الضرورة تحتم هذا ما دام هناك إنسان سيدخل هذه الكرة عبر النافذة المفتوحة ، وسيتم غلقها عليه بإحكام ويتم تطويحه إلى البحر من فوق القارب .. ليغرق على عمق خمسة أميال .. كان الملازم يشعر بالسأم ، وقد

أحس أن الله قد أرسل له (سيتفنز) كى يثرثر معه عن الموضوع مرارًا وتكرارًا ..

قال الملازم :

ـ « إن رأيى هو أن الزجاج سيتهشم تحت الضغط .. لقد استطاع (دوبربيه) أن يجعل الصخور تندفع كالماء تحت الضغط العالى ولو لاحظت كلامى .... »

ـ « وماذا لو تهشم الزجاج ؟ »

ـ « سيندفع الماء إلى الداخل كقذيفة حديدية .. إن اندفاعه سيكون كالرصاص .. سيمزق رئة الرجل ويفجر أذنيه .. »

احتج (سيتفنز) :

ـ « إن لك خيالاً مفصلاً أكثر من اللازم .. »

ـ « هو مجرد تقرير لما لا مفرّ منه .. »

ـ « وماذا عن الكرة ؟ »

ـ « ستخرج منها بضع فقاعات ثم تستقر هناك على القاع إلى يوم الدينونة .. وسينتثر جثمان (إلستيد) المسكين كقطعة من الزبد فوق شريحة خبز .. »

وكأنما راق له التشبيه الأخير كرّره فى استمتاع :

ـ « كقطعة زبد فوق شريحة خبز .. »

ـ « أى زبد وأى خبز ؟ »

كان هذا هو صوت (إلستيد) ذاته إذ وقف وراءهما ، وقد تسربل بثياب بيض ، وسيجار بين أسنانه ، وعيناه تبتسمان من تحت حافة القبعة التى يرتديها ..

ـ « أتراك تتذمر يا (وايبردج) كالعادة من راتب ضباط الجيش الشحيح ؟ إننى سأبدأ على الفور .. يجب أن نعدّ الرافعة اليوم .. فهذه السماء الصافية مناسبة تمامًا لإلقاء اثنى عشر رطلاً من الحديد والرصاص ..

ألا ترى هذا ؟ »

قال (وايبردج) :

ـ « إن هذا لن يكون ذا تأثير عليك .. »

ـ « بالطبع لا .. فبعد اثنتى عشرة ثانية سأكون على عمق ثمانين قدمًا .. وعندئذ لن أرى ذرة تتحرك حتى لو كانت العواصف تزأر فوق السطح ، والأمواج توشك أن تلامس السحاب ..، إن ما ينتظرنى هناك هو ... »

ومرت هنيهة من الصمت .. كان يبحث عن لفظة مناسبة .. ثم أردف :

ـ « .. السلام .. »

غمغم (وايبردج) :

- « لن أهبط فى هذا الشئ الملعون ؛ ولو مقابل عشرين ألفًا من الجنيهات » .

هتف (إلستيد) فى مرح وهو يبصق على فقاعة على سطح الماء :

- « يا لك من شاب متفائل ! »

ثم أردف شارحًا :

- « أولاً : سيتم إحكام غلق الكرة علىّ .. ثم أضىء وأطفئ النور الكهربى ثلاث مرات .. عندئذ ترفعنى هذه الرافعة لأعلى بكل أثقال الرصاص هذه معلقة منى .. وتسقطنى إلى القاع مدلى من حبل يلتفّ حول هذه البكرة .. وقد آثرنا استعمال الحبل بدلاً من السلك ؛ لأنه أسهل فى قطعة عند الضرورة وحين تهبط الكرة إلى الماء سوف تطفو بسبب الهواء بداخلها .. لكن الأثقال الرصاصية ستجذبها لأسفل .. ويظل الحبل معلقًا بها .. »

- « ولكن ما فائدة الحبل الذى يعلق الأثقال ؟ »

- « لتحاشى تهشم الكرة على القاع .. فالهبوط سيكون سريعًا .. ميلاً بعد ميل .. وهنا يأتى دور الأثقال التى ستلمس القاع أولاً .. ستهبط الكرة نفسها ببطء ؛ لأن الأثقال تتلقى الصدمة الأولى .. ثم تبدأ الكرة فى الارتفاع ، وهنا يبدأ دور الميكانيكية التى صممناها ..

سأظل على القاع نصف ساعة ألاحظ ما حولى ؛ بعدها تخرج سكين آلية تمزق الحبل الذى يربط الكرة إلى الأثقال ، وسأرتفع أنا إلى أعلى كفقاعة فى زجاجة صودا .. »

- « ولنفرض أن حيوانًا بحريًا أفسد هذه الآلية التى تتحدث عنها ؟ »

- « ستكون هذه دعوة قوية لى كى أتوقف .. »

قالها (إلستيد) وأدار ظهره للماء كى يتأمل الكرة .

★ ★ ★

ألقوا بـ (إلستيد) من فوق ظهر القارب فى الحادية عشرة ..

كان النهار يتألق بضوء هادئ صاف ، وتألق الضوء الكهربى خلف زجاج الكرة ثلاث مرات .. عندها بدءوا فى إنزاله ببطء إلى سطح الماء ..

لحظتها بدت الكرة التى كانت هائلة الحجم فوق السطح صغيرة إلى حد لايُصدق ، وبدت نافذتاها وهى تتدحرج كعينين حائرتين زائغتين بين جموع البحارة الواقفين على السطح ..

صاح القائد :

- « هل أنتم مستعدون ؟ »

- « آى آى يا سيدى(*) ! »

- « دعوها تهبط إذن ! »

وعندئذ قام أحدهم بقطع حبل كان يمنع الكرة من الهبوط وراء الأثقال .. بدا وقتها كأن الكرة ثابتة لا تتزحزح .. وفجأة .. انغلق الماء من فوقها واستطاعوا أن يروها من تحته تتراقص صورتها باستمرار .. ثم اختفت نهائيًا ..

والآن كان على القارب أن يبتعد ميلين عن هذا الموقع ، خشية أن تصطدم الكرة به إبان صعودها ..

كانت شمس (ديسمبر) تعلو متن السماء الآن ، وقد ازدادت حرارة الجو إلى حدّ ملحوظ .. ومرّ نصف ساعة .

عندئذ بدأ التوتر ..

راح الجميع يرمقون النقطة التى ينتظرون (إلستيد) عندها .. لكن لا كرات .. دقيقة أخرى .. ولا شىء ..

- « هلم يا (إلستيد) .. اصعد ! »

قالها بحار ذو شعر صدر كثيف ، وشاركه الآخرون فى الهتاف كأنما ينتظرون رفع ستار مسرح ...

نظر لهم القومندان فى توتر .. وقال :

- « أنا لا أومن بالرياضيات .. ربما كانت الحسابات خاطئة .. »

(*) نعم بلغة البحر .

لم يعلق أحد .. وساد الصمت دقيقتين أخريين ..

الآن تعتلى الشمس ذروة السماء وقد مرّت عشرون دقيقة .. الجميع ينتظر الكرة .. دون أن يجرؤ أحد على أن يهمس بأن الأمل قد مات وكان (وايبردج) أول من أعطى تلميحًا لذلك :

- « لم أثق قط بتلك النافذة .. »

قال (ستيفنز) فى هلع :

- « يا إلهى الرحيم !.. أنت لا تعتقد أن .... »

- « حسن !.. »

قالها (وايبردج) تاركًا الباقى لخيال محدثه ..

وعندما جاء منتصف الليل راح القارب يدور ببطء حول البقعة التى كان على الكرة أن تبرز منها .. وراح الضوء الكهربى يمسح المياه مرارًا دون جدوى ..

غمغم (وايبردج) :

- « لو أن النافذة لم تتهشم .. فهذا يعنى ما هو أسوأ .. يعنى أن الجزء الميكانيكى لم يعمل كما يجب .. ومعنى هذا أن الرجل حىّ الآن على عمق خمسة أميال في البرد والظلام .. حيث لم يصل إنسان قط منذ خلق الله الماء .. إنه جائع يعانى الطوى .. ظمآن خائف .. »

ثم صاح فى هلع :

- « أية مخلوقات تافهة نحن ! أية شياطين صغيرة متهورة ! كل هذا الماء تحتنا وحولنا وفوقنا ..! »

فجأة .. ظهر ضوء أبيض متجهًا نحو السماء .. حتى غدا نقطة بيضاء بين النجوم .. ثم راح ينحدر حتى غاب وسط التوهج الفوسفورى للمياه ..

هنا تصلب (وايبردج) فاغرًا فاه فاردًا ذراعيه ، ولوح بعد هنيهة بذراعه .. وصرخ :

- « (إلستيد) على مرمى البصر ! »

قالها لمن حوله وهرع قاصدًا الكشافات :

- « لقد رأيته !.. رأيته بين النجوم !.. لقد قُذف من الماء .. هلموا اجلبوا الضوء ها هنا .. سنراه طافيًا فوق الماء حالاً ».

لكنهم لم ينقذوا المستكشف قبل الفجر ..

أنزلوا حبل الرافعة وربطوا الخطاف إلى الكرة .. ثم رفعوها إلى ظهر القارب وقاموا بحلّ المسامير التى كانت تغلق الكوّة .. ثم إنهم راحوا يختلسون النظر إلى داخل الكرة حيث عمّ ظلام دامس ..

كان الهواء حارًا بالداخل ، وقد بدأ المطاط المحيط بإطار الكوّة يسيل نوعًا .. ، ولم تكن ثمة إجابة لأسئلتهم الملهوفة ولا صوت ينم عن الحركة .. بدا لهم

(إلستيد) نائمًا بلا حراك مكومًا فى قاع الكرة ، وعندما زحف طبيب القارب إليه بالداخل لم يكن بوسع أحد معرفة هل هو ميت أم حىّ .. لكن وجهه كان مبتلاً بالعرق ..

وفى قمرته أدرك القوم أنه ليس ميتًا .. لكن فى حالة من الانهيار العصبى الكامل ، ثم إن جسده ملىء بالسحجات العنيفة .. ولقد اقتضى الأمر أسبوعًا كاملاً حتى استطاع أن يتكلم .. ويحكى قصته ..

كان أول ما قال هو أنه سيعود .. وأن الكرة يجب أن تُطوّر بحيث تسمح له بالتخلص من الحبل بنفسه .. وكان هذا كل شىء ..

- « ظننتم أننى لن أجد شيئًا سوى بعض الفقاقيع .. سخرتم منى وهأنذا قد اكتشفت عالمًا جديدًا ! »

وراح يسرد قصته بشكل مفكك ، وبالتالى سيكون من المستحيل أن ننقل كلماته حرفيًا .. لكننا سننقل خلاصة ما قال ..

★ ★ ★

بدأ الأمر بداية شنيعة - والكلام هنا لـ (إلستيد) - فقد راحت الكرة تتدحرج ؛ حتى شعر بأنه ضفدع حبيس فى كرة قدم .. ولم يكن بوسعه سوى أن يرى السماء والقوم المحتشدين فوق السطح ..

وفجأة شعر بقدميه ترتفعان ، ثم راح يتدحرج رأسًا على عقب فوق الوسادة الهوائية ..

ثم توقف التأرجح واستقامت الكرة .. واستجمع هو شتات نفسه ؛ ليجد الماء حوله مزاجًا من الأخضر والأزرق ، وثمة شعاع ضوء قادم من أعلى حيث السطح .. لكن الماء ، راح يزداد سوادًا وسوادًا حتى بدا كسماء منتصف الليل اللهم إلا من مسحة خضراء .. وراحت أشياء شفافة تلتمع فى الماء من حوله ثم تنفجر حين تدنو منه ..

وذلك الإحساس بالسقوط !.. إنه يشبه ما تشعر به حين يبدأ المصعد فى الهبوط .. لكنه دائم لا يتوقف .. وعليك أن تتصور كيف يكون ذلك ..

كانت تلك هى المرة الأولى التى يندم فيها على تجربته .. وأدرك أن الفرص كلها ضده .. خذ عندك مثلاً أسماك الحبّار العملاقة التى تعيش ها هنا .. لو أن إحداها أمسكت بالكرة ولم تتخل عنها .. ثم هل تمَّ اختبار الميكانيكية بشكل مرض ؟

على كل حال لم تعد هناك قيمة الآن لرغبته فى البقاء أو الاستمرار ..

الظلام فى كل مكان حوله .. فقط الضوء المنبعث من الكرة يسقط من حين لآخر على حشد من الأسماك أو

شىء ما يغرق .. وأحسَّ أن حرارة الكرة تزداد بفعل احتكاكها بالماء .. واضح أنهم لم يضعوا هذا فى حسبانهم ..

إن العرق يغمره .. ومن كوة النافذة يرى فقاقيع صغيرة تتصاعد لأعلى بسرعة .. إنه الغليان !.. زجاج النافذة حارّ .. خطر له أن الزجاج سيتهشم نتيجة لفارق الحرارة لأن ـ حسب علمه ـ ماء قاع المحيط بارد إلى درجة تقرب من التجمد ..

وهنا شعر أن أرضية الكرة تضغط على قدميه ، وتلاشت الفقاقيع المتصاعدة من حوله ، واختفى الهسيس ..

أدرك أنه ـ خلال دقيقة ـ سيستقر على القاع .. عندئذ فكر فى (ستيفنز) و (وايبردج) اللذين صارا الآن على ارتفاع خمسة أميال ، كأنهما سحب عالية تسبح فى السماء ..

ألقى نظرة عبر الكوة .. كان الخارج مظلمًا كمخمل أسود .. ثم رأى فى ضوء الكشاف ثلاثة أشياء تشبه اللهيب فى منظرها تدخل مجال البصر .. ولم يستطع أن يخمن هل هى أشياء دانية صغيرة الحجم ، أم قصية كبيرة الحجم ..

كان لكل منها غلاف خارجى من الضوء الأزرق يتألق كمصباح ، وسرعان ما أدرك أنها أسماك من نوع غريب .. لها رأس عملاق وعينان واسعتان ..

هنا وجد سحابة بيضاء تحيط به ، مما جعل الضوء عاجزًا عن اختراقها .. كان السبب فى هذا هو أنه لامس القاع ، وتصاعد الغبار من حوله .. ثم بدأت السحابة تنقشع وبدأ يرى بوضوح أكثر .. كانت هناك مجموعات من نبات سوسن الماء تحرك ممساتها الجائعة فى الماء .

ومن بعيد رأى معالم مجموعة من الإسفنج العملاق .. وعلى القاع تناثرت قشريات تزحف هنا وهناك تاركة ممرات خلفها ..

فى البدء لم ير ذلك المخلوق بوضوح .. مجرد شىء يتحرك ويوحى من بعيد بمنظر رجل يسير .. ثم دخل المخلوق فى مجال الضوء .. فما إن صدمه الضوء حتى أغلق عينيه مبهورًا ..

كان حيوانًا فقاريًا عجيبًا .. رأسه الأرجوانى يشبه الحرباء إلى حدّ ما .. لكن رأسه الكبير وجبهته العالية لم يكونا مما يوجد لدى الزواحف .. كان مجمع وجهه يعطيه تشابهًا مذهلاً مع الإنسان ..



وسرعان ما أدرك أنها أسماك من نوع غريب ..لها رأس عملاق وعينان واسعتان ..

كانت هناك عينان تبرزان من محجريهما كما تبرز عينا الحرباء . وتحت أنفه الدقيق كان هناك فم ذو شفتين قرنيتين كشفاه الزواحف ، وفى موضع الأذنين غطاء خيشوم ، على حين تنبعث من جسده شجرة متفرعة من الخيوط الدقيقة مثل خياشيم أسماك القرش .

على أن أكثر الأشياء غرابة بصدد المخلوق لم يكن وجهه ..

بل كونه يسير على قدمين .. جسده الكروى يتربع فوق قدمين كأقدام الضفادع وذيل سميك طويل .. ، بينما يداه تشبهان يد الإنسان إلى حدّ ما .. كأنما هما رسم كاريكاتيرى لها ..

وكان لون المخلوق متباينًا .. رأسه ويداه وقدماه كان لونها أرجوانيًا .. لكن جلده الذى تهدل من فوق عظامه كان يتألق بلون الفسفور .. حيث وقف هنالك وقد أعماه الضوء ..

فى النهاية فتح المخلوق فاه .. وأطلق صوتًا صارخا .. له مقاطع ككلا منا اخترق الصلب الذى صنعت منه الكرة ..

كيف يتم الصراخ دون رئتين ؟ لم يستطع (إلستيد) أن يجيب عن هذا السؤال .. لكنه أدرك أن الكائن قادم إلى الكرة مبهورًا بالضوء.. وسرعان ما مدّ (إلستيد)

يده ليطفئ الإضاءة ، فى اللحظة التى تأرجحت فيها الكرة بفعل شىء ما قد ارتطم بجدارها الفولاذى ..

عاد الصراخ يتردد .. وبدا له أن أصداء بعيدة تجاوبه .. عادت الكرة تتأرجح .. وفى الظلام الدامس أدرك (إلستيد) أن هناك مخلوقات أخرى شبه آدمية وتتألق بضوء فوسفورى ، تتحرك نحوه ..

لم يدر ما يفعله .. راح يبحث فى الظلام عن مفتاح الضوء الكهربى .. وجد كشاف اليد الخاص به فأضاءه .. وسرعان ما رأى زوجين من الأعين تتأملانه عبر الكوّة وتلتمعان فى الضوء ..

وهنا سمع صوتًا أثار هلعه .. صوت طرقات عنيفة على آلات الكرة المسئولة عن قطع الحبل .. كان هذا كافيًا ليثب قلبه إلى فمه .. لو أن هذه المخلوقات نجحت فى مسعاها ، فلن ينجح فى الفرار أبدًا .

عادت الكرة تتأرجح بعنف ثم شعر بقاعها ينضغط فوق قدميه .. وأدرك أنه يرتفع !.. اختفى القاع واختفت المخلوقات الشبيهة بالإنسان من تحته ..

خطر له لأول وهلة أنه قد فرّ ، وأن هذه المخلوقات قد قطعت الحبل الذى يربطه إلى الأثقال .. استمر

الصعود سريعًا سريعًا .. وفجأة توقف .. وانقذف (إلستيد) إلى أعلى ؛ ليصطدم بسقف الكرة .. ولمدة نصف دقيقة منعته الدهشة من التفكير ..

هنا لاحظ أن الكرة تدور ببطء حول نفسها .. وأن هناك من يجذبها عبر المياه .. لكنه لم ير شيئًا حين نظر من الكوّة .. خطر له أن يطفئ الكشاف ويترك عينيه كى تعتادا الغموض العميق المحيط به .. وكان حكيمًا فى قراره ..

بعد ثوان بدأ الظلام المخملى يتحول إلى سواد شفاف .. ثم رأى من بعيد - فى ضوء شاحب - أشياء تتحرك .. وخطر له أن هذه المخلوقات قد قطعت الكابل الذى كان يربط الكرة بالقارب ؛ وأنها تجرّه الآن إلى قاع المحيط ..

ثم رأى أفقًا عريضًا من الضياء الشاحب يمتد هنا وهناك إلى أبعد ما تسمح به الكوّة الضيقة ..، وكان ينجذب إلى هذا الأفق كبالون يجذبه الصبية من الريف إلى المدينة ..

كان يدنو أكثر فأكثر .. وبدأ الضياء يتخذ أشكالاً أكثر تحديدًا . كان يرى ما يوحى بشوارع وبيوت تمتد كخريطة من تحته وكانت تلكم المنازل مجرد جدران بلا

سقوف ، صنعت - كما عرف بعد ذلك - من عظام فسفورية متألقة ، مما أعطى المكان منظرًا يوحى بأنه بنى من ضوء القمر ..

كانت هناك أشجار تتموج .. وقطع إسفنج عملاقة .. ورأى حركة فى الشوارع كأنما القوم يتزاحمون ..

كان يهبط .. وتفاصيل المكان تزداد وضوحًا وتبدد جزعه نوعًا .. وأدرك أنه فى مواضع عدة كانت هناك سفن غارقة غطتها القشريات منذ دهر ..

كان يهبط .. ولقد أدرك أنهم يقودونه إلى مبنى كبير فى مركز المدينة واستطاع أن يرى الأشكال العديدة التى تجذب حبل كرته ، والأشكال العجيبة التى تنتظره بين جدران المبنى .. ثم ارتفعت الجدران من حوله ؛ لتدارى المدينة عن عينيه ..

صُنعت هذه الجدران من خشب السفن وقطع الحديد وعظام وجماجم الغرقى .. وقد تم نثر الجماجم بشكل حلزونى ومنحنيات لا تصدق حول المبنى ، فى حين راح السمك الفضى يخرج ويدخل من محاجرها ..

كان يهبط .. يهبط .. حتى شعر أن الكرة تستقر على ما يشبه المحراب فى وسط المكان ..

الآن صار بوسعه أن يرى سكان الهاوية بوضوح أكثر .. وعندئذ أدرك لدهشته أنهم يظهرون احترامهم وإجلالهم له .. جميعهم ما خلا واحدًا يرتدى ثوبًا من القشور وتاجًا من اللآلئ .. كان يقف فاتحًا فمه الشبيه بفم الزواحف ، كأنما يقود إنشاد المتعبدين ....

حافز غريب دعا (إلستيد) إلى أن يضىء الكرة ثانية ليراه هؤلاء الواقفون فى الهاوية حوله ..

عندئذ غدا الإنشاد جلبة وصراخًا .. وأدرك (إلستيد) أنهم يركعون أمامه ، وهكذا ظلوا فى عبادتهم له دون كلل ، ولا انقطاع ثلاث ساعات كاملة ..

★ ★ ★

إن قصته لعجيبة .. لكنها لا تقل غرابة عن كون رجال العلم البارزين ـ مثل (آدامز) و (جنكينز) ـ لا يجدون فيها ما يدعو للدهشة .. فهم لا يرون غرابة فى أن تعيش مخلوقات ذكية تتنفس الماء ذات عمود فقرى ، ووزنها ثقيل إلى حدّ أنها من المستحيل أن تطفو حية أو ميتة ، لا يرون غرابة فى أن تعيش مخلوقات كهذه على قاع المحيط دون أن نرتاب فى وجودها .. مخلوقات تنحدر من الـ (ثريومورفا) التى وجدت فى الحقبة الجيرية ..

لابد أن هذه المخلوقات ترانا ككائنات نيزكية غريبة ، اعتادت الهبوط ميتة من خلال ظلمات سمائهم المائية .. وأحيانًا تهوى سفن عملاقة ، لتهشم مدنهم كأنما هو عقاب من قوة عليا غير مرئية ..

لهذا يمكن للمرء أن يفهم سلوكهم تجاه هبوط رجل حىّ فوق عالمهم ، كما يفعل البدائيون مع رائد فضاء فى حلّة براقة يهوى فوق رءوسهم ..

ولما كان (إلستيد) قد وعد بأن يكتب تفاصيل الاثنتى عشرة ساعة التى قضاها فى الهاوية ؛ لكنه لم يفعل ذلك قط .. فإننا نحاول جمع أجزاء القصة المتناقضة من أفواه القومندان (سيمونز) و (وايبردج) .. و(ستيفنز) وآخرين ..

الآن تمر دقيقة تلو الأخرى .. و (إلستيد) ينظر إلى ساعته ؛ ليدرك فى هلع أن أمامه أربع ساعات قبل أن ينفد الأوكسجين .. لكن إنشاد المخلوقات استمر كأنما هو أنشودة جنازته .. أغنية موته المقبل ..

لا يستطيع أن يفسر كيفية تحرره .. لكن طرف الحبل المتدلى من الكرة يشير إلى أنه تمزق من احتكاكه بالمحراب .

فجأة تدحرجت الكرة .. وانزلق خارجًا من عالمهم كمخلوق أثيرى ينزلق من عالمنا عائدًا إلى عالمه الأثيرى .. لابد أن الصعود بدا لهم غريبًا ..

ازدادت حرارة الكرة وسرعتها فى الصعود ..

يذكر (إلستيد) الفقاقيع التى راحت تجيش جوار الزجاج ..

ثم فجأة شعر كأن عجلة عملاقة تدور فى رأسه .. وسرعان ما فقد الوعى ..

بعد هذا لم ير سوى القمرة ، ولم يسمع سوى صوت الطبيب ..

بقى أن نقول هنا إنه فى ٢ فبراير ١٨٩٦ ، قام (إلستيد) بمحاولته الثانية للهبوط إلى هاوية المحيط بعد ما أجرى تحسينات عدة على كرته فى (ريو) ..

أما ما حدث بعد هذا فلن نعرفه أبدًا .. لأنه لم يعد قط .

وقد ظلت السفينة (تارميجان) تبحث عنه ثلاثة عشر يومًا بلا جدوى .. ثم إنها عادت إلى (ريو) وأبرقت الأخبار إلى أصدقائه ..

وهكذا ينتهى الموضوع ..

لكن من العسير ألا تجرى محاولة جديدة لتحقيق هذه القصة العجيبة ، عن تلك المدن الغريبة فى أعماق المحيط ، والتى نجهل عنها كل شىء ..

(أغسطس ١٨٩٦)

★ ★ ★



المتجر المسحور

المتجر المسحور

رأيت المتجر المسحور مرارًا من بعيد .. مررت به مرة أو مرتين .. ورأيت فى واجهته كرات سحرية .. دُمى سحرية .. ألعاب السلة .. مجموعات من أوراق اللعب (تبدو) على ما يرام ... رأيت كل هذا ، لكنى لم أفكر فى دخوله قط إلى أن جاء يوم - بلا إنذار - وجدت فيه (جب) يجذبنى من إصبعى نحو المتجر .. بمعنى أنه لا مفر لى من أن أدخل معه ..

ولم يكن قد خطر لى من قبل أن هذا المكان موجود هناك فى شارع (ريجنت) ما بين محلّ الصور والمفرخة .. لكن المكان كان هناك حقًّا .. لطالما تصورت أننى رأيته قرب السيرك أو عند ناصية (أوكسفورد) .. المهم أنه كان دائمًا بعيدًا عن طريقى .

الآن هاهوذا أمامى .. وإصبع (جب) الصغير يحتك بزجاج الواجهة محدثًا جلبة .. وهو يردد :

- « لو كنت غنيًا لابتعت هذه .. وهذه .. » - كانت هذه هى دمية تمثل طفلاً باكيًا - « وهذه .. » - التى كانت لغزًا يتم تجميعه - « وهذه .. »

وكانت هذه الأخيرة قد كتب عليها « اشتر واحدة وأدهش أصدقاءك .. »

قال (جب) :

- « أى شىء يختفى تحت هذه الأقماع .. لقد قرأت عنها .. »

ثم أردف :

- « وها هو ذا (نصف البنس المختفى) .. »

لقد ورث (جب) العزيز إصرار أمه .. لهذا لم يعرض علىّ دخول المتجر .. فقط - ودون وعى - جذبنى من إصبعى إلى الباب .. وأشار إلى زجاجة سحرية فى شغف .. فسألته :

- « ماذا ستفعل بها ؟ »

- « يمكننى أن أرى إياها لـ (جيسى) .. »

مددت يدى إلى مقبض الباب وفتحته .. فلم يقل (جب) شيئًا وأطبق بقبضته على إصبعى بحزم .. ودخلنا المحل ..

ما كان هذا متجرًا عاديًا .. كان متجرًا مسحورًا .. وترك (جب) دفة الحديث لى ..

كان متجرًا ضيقًا خافت الإضاءة .. وسمعنا جرس الباب يدق حين أغلقناه وراءنا .. هنا صرنا وحيدين وأمكننا أن نتأمل المكان .. كان هناك نمر على الزجاج

الموضوع فوق منضدة الاستقبال .. نمر لـه عينـان حنونـان ... وكانت هناك كريات بللوريـة ، ويـد مـن الخزف الصينى تمسك بـأوراق لعب ، ومجموعـة من أحواضِ السمك السحرية ، وقبعة سحرية تظهر اليايـات بداخلها بلا حياء ...

وعلى الباب رأينا مرآتين سحريتين : واحدة تظهـرك طويلاً نحيلاً .. وواحدة تضخم رأسك وتكمش جسدك ..

بينما نحن نضحك وقد رأينا صورتينا ؛ دلف البـائع إلى المكان ..

رجل نحيل أسمر هو .. مثير للفضول .. لـه ذقن كطرف الحذاء وأذن أكبر من الأخرى ..

قال لنا وهو يفرد أنامله الطويلة على الزجاج :

ـ « ماذا بوسعى أن أقدم لكما ؟ »

وهكذا شعرنا بوجوده .. فقلت :

ـ « أريد أن أبتاع لطفلى بعض الحيل البسيطة .. »

ـ « ميكانيكية ؟ أم منزلية ؟ أم قائمة على خفة اليد ؟ »

ـ « أى شىء مسل .. »

ـ « هم م م ! » ـ قال وهرش رأسه كمـا لـو كـان يفكر .. ثم فجأة جذب من رأسه كرة زجاجية ـ « شـىء كهذا ؟ »

كان تصرفه غير متوقع .. رأيتـه مـرارًا يُؤدى فـى دور اللهو .. لكنه فاجأنى ها هنا .. لكم بدا لى غريبًا !

قلت ضاحكًا :

ـ « هذا رائع ...! »

مدّ (جب) يده ليلتقط هذا الشىء .. لكنـه وجد كفًا خاويةً ..

ـ « إنه فى جيبك ! »

قالها البائع .. وكان هناك فعلاً !.. سألت الرجل :

ـ « كم ثمنه ؟ »

قال الرجل وهو يخرج كرة أخرى من كمه :

ـ « نحن لا نثمن الكرات الزجاجية .. ما دمنا نحصل عليها مجانًا .. »

وأخرج كـرة مـن مؤخـرة عنقـه .. على حين تأملـه (جب) فـى اهتمـام .. واستعد للمفاجـأة التاليـة .. قـال الرجل :

ـ « نحن نحصل على كل حيلنا الصغيرة هكذا .. »

قلت ضاحكًا بأسلوب رجل يشارك فى دعابة :

ـ « بدلاً من التعامل مع تجار الجملة .. هكذا أرخص حتمًا .. »

قال الرجل :

ـ « إلى حدٍّ ما .. أما عن حيلنا الكبرى وكل ما نحتاج إليه فإننا نحصل عليه من هذه القبعة .. ولو أن السيد سمح لى فإننى أقول له : لا توجد متاجر جُملة للبضائع السحرية الأصيلة .. » ـ وأخرج بطاقة من خده وقدمها لى : « لا خداع هنالك يا سيدى .. أصيلة .. »

ثم نظر إلى (جب) وقال باسمًا :

ـ « أنت (الولد المناسب) .. فقط (الولد المناسب) يستطيع أن يدخل من هذا الباب .. »

وكأنما لتوضيح ما قال سمعنا صوت من يحرك مقبض الباب .. وصوتًا رفيعًا يصيح من الخارج :

ـ « أريد الدخول يا بابا .. أريد الدخول .. نيايايايااه ! »

ثم صوت أب يواسيه :

ـ « إنه موصد يا (إدوارد) .. »

قلت أنا :

ـ « لكنه ليس موصدًا » .

ـ « فقط بالنسبة لولد غير مناسب كهذا »

ـ قال صاحب المحل ذلك وهو يشير إلى وجه الطفل الآخر الذى ينظر من وراء الزجاج .. وجه شاحب شوهته الشهوات الشيطانية .. مخلوق صغير أنانى سوّست الحلوى أسنانه ..

كدت أتجه إلى الباب بردّ فعل طبيعى لأعين الصبى على الدخول ، لكن الرجل قال لى :

ـ « لا جدوى من ذلك سيدى .. »

ثم أردف وهو يلوح بيديه ، فتنطلق شرارات اللهب الملون من أطراف أنامله ، لتختفى فى ظلام المتجر :

ـ « إنه السحر ! »

ثم قال موجهًا الكلام إلى (جب) :

ـ « قبل أن تدخل المحل قلت إنك ترغب فى واحدة من ألعابنا المسماة (اشتر واحدة وأدهش أصدقاءك) »

قال (جب) بعد عناء :

ـ « نـ ... نعم .. »

ـ « هى الآن فى جيبك ! »

وانحنى فوق المنضدة ليقدم لنا اللعبة بطريقة دعائية .. ثم هتف :

ـ « ورق ! »

والتقط لفة ورق كبيرة من القبعة .. ثم صاح :

ـ « خيط ! »

وأخرج من فمه خيطًا طويلاً بلا نهاية راح يربط به الطرد بعد أن غلفه ، ثم أشعل شمعة على أنف إحدى الدمى وغمس فيها إصبعه ليأخذ مسحة من الشمع ، ويلصق بها الطرد كأنما ختم بشمع أحمر ..، ثم راح يغلف (البيضة المختفية) و (الطفل الباكى) ويناول كل طرد بعد الفراغ منه إلى (جب) ..، (جب) الذى احتشدت العواطف داخله وراحت تصطرع ..

وهنا شعرت بشىء يلهو فى قبعتى .. شىء ناعم يتواثب .. أزحتها عن رأسى فوجدت حمامة تسقط منها وتجرى فوق المنضدة .. لتتوارى داخل صندوق أوراق اللعب خلف دمية النمر ..

مدّ الرجل يده ليتناول قبعتى ، وهزّها ليخرج منها ثلاث بيضات .. بلية كبيرة .. ساعة .. دستة من الكرات الزجاجية ..

ـ « كل هذه الأشياء تتراكم فى القبعة يا .. سيد »

ـ كان يلومنى بأدب وهو يخرج هذه الأشياء ـ

« لا أعنيك أنت بالذات .. لكن أعنى كل عميل .. من

المدهش أن ترى كل الأشياء التى يحملونها فى قبعاتهم ! »

وفجأة توقف عن الكلام .. كأنك ضربت الجراموفون بقطعة من القرميد حسنة التصويب .. عندها ساد الصمت وكفت كل الأصوات .. فسألت بعد هنيهة :

ـ « هل فرغت من اللهو بقبعتى ؟ »

فلم يجب .. نظرت إلى (جب) ونظر (جب) لى ..

« إننا سنرحل الآن .. فهلا قلت لى ثمن هذه الألعاب ؟.. »

وعدت أكرر بصوت أعلى :

ـ « أقول : أريد الفاتورة وقبعتى من فضلك .. »

سمعنا صوتًا حفيفًا من وراء كومة الورق .. فقلت لـ (جب) :

ـ « فلننظر وراء المنضدة أى (جب) .. إنه يعبث بنا .. »

ومشينا لنلقى نظرة هناك .. فماذا تحسبنا وجدنا ؟ لا أحد ! فقط قبعتى على الأرض وجوارها رأينا أرنبًا أبيض غارقًا فى التأمل .. صاح (جب) فى افتتان :

ـ « بابا .. إننى أحب هذا المتجر ! »

- « وأنا كذلك .. ما لم تتحرك هذه المنضدة فجأة لتغلق الباب علينا ! »

لكنه لم يعط لما قلت أهمية .. وراح يمدّ يده للأرنب محاولاً إقناعه بالاقتراب ..

- « هيا يا (بوسى) .. قم بلعبة سحرية لـ (جب) ! »

رأينا الأرنب يتواثب قاصدًا الباب .. وفجأة انفتح الباب ولمحنا الرجل ذا الأذن الأكبر من الأخرى يبرز لنا .. كان يبتسم لكننا رأينا فى عينيه مزيجًا من الاستمتاع والتحدى :

- « إنكما ستحبان رؤية قاعة عرضنا يا سيدى » .

هنا كنت قد بدأت أشعر بأن السحر أصيل ها هنا .. أكثر أصالة مما يجب فى الواقع .. فقلت :

- « ليس لدينا متسع من الوقت .. »

لكننا ـ بشكل ما ـ وجدنا نفسينا فى قاعة العرض ، وقبل أن أنهى كلامى ..

ورأيت البائع يمدّ يده إلى كم معطفى وينتزع شيئًا .. ورأيت أن هذا الشىء كان عفريتًا صغيرًا أحمر يمسكه الرجل من ذيله ، بينما العفريت يقاوم ويحاول أن يعض يده .. وسرعان ما رماه الرجل فى إهمال وراء المنضدة ..

لم أشك لحظة فى أن الشىء دمية مطاطية .. لكن كم بدا حقيقيًا !.. خاصة والرجل يتصرف كمن يمسك بأفعى .. أفعى حقيقية تلدغ ..

نظرت إلى (جب) فوجدته لم يلحظ الشىء .. وقد سرنى هذا ..

سأل (جب) الرجل فى تبجيل واحترام وهو يشير إلى لعبة :

- « هل هذا الشىء سيف سحرى ؟ »

- « إنه (لعبة سيف سحرية) .. لا تنحنى ولا تنكسر ولا تقطع الأصابع .. إنه يجعل حامله لايُقهر فى أية معركة ضد من هو أقل عمرًا من ثمانية عشر .. ويباع معها درع واقية .. وأحذية تطير .. وخوذة تجعلك غير مرئى ! »

تنهد (جب) فى نشوة :

- « آه يا بابا ! »

حاولت معرفة سعر هذه الأشياء ، لكن الرجل لم يعطنى فرصة .. ولقد استحوذ على (جب) الآن .. وترك (جب) إصبعى ؛ ليرى كل شىء فى جراب هذا الساحر .. بل إننى لاحظت ـ بشعور هو للغيرة أقرب ـ

أن (جب) قد أمسك بإصبع الرجل كما كان يفعل معى تمامًا .. لاجدال أن الرجل مسلٍّ .. ولديه بضاعة لا تنفد من الألعاب الزائفة ..

مشيت وراءهما ، وعزّيت نفسى بأن (جيب) يستمتع بكل هذا .. لكن حين يجىء الوقت لنرحل سنرحل ..

كنا نمشى فى قاعة العرض .. والبائع يعرض على (جيب) قطارات تسير دون وقود أو ميكانيكية ما .. وصناديق تحوى جنودًا تدب الحياة فيهم بمجرد أن نفتح الغطاء ونقول .... حسن .... لم أتمكن من التقاط الكلمة خاصة وأنها كانت عسيرة النطق .. لكن (جب) ـ الذى ورث أذنى أمه الحادتين ـ استطاع أن يحفظها .. وسرعان ما أعاد الرجل الجنود إلى الصندوق وهو يهنئ (جب) على سرعة حفظه ..

ـ « هل ستأخذ الصندوق ؟ »

وقبل أن ترد .. قذف الرجل الصندوق فى الهواء .. وهنا وجدناه أمامنا ملفوفًا بالورق البنىّ وقد كتب عليه اسم (جب) الكامل وعنوانه !..

وضحك البائع من ذهولى .. وقال :

ـ « هذا هو السحر الأصلى .. السحر الحقّ ! »

قلت فى تردد :

ـ « إنه أصلى أكثر من اللازم بالنسبة لى .. »

وواصل الرجل إبهار (جب) بمزيد من الحيل السحرية .. فكنت تسمع لفظة (برستو !)(*) من الرجل تليها لفظة (برستو !) الصغيرة الصافية من الصغير .. لكننى كنت بعيدًا عن هذا .. رحت أتامل الجو الغامض الموحى بالتوتر المخيم على هذا المكان ..

كان هناك مساعد من مساعدى الرجل .. رجل غريب الشكل لا يشعر بوجودى .. كان منحنيًا على كومة ألعاب وقد رسم قوسًا بجسده ، وراح يصنع أشياء مروعة بأنفه ! أشياء يفعلها كأنما يشعر بالملل ويريد أن يروح عن نفسه ..

كان الأنف مستديرًا قصيرًا .. فإذا به يشده كالتلسكوب .. وبعد قليل غدا الأنف طويلاً رفيعًا مثل سوط أحمر .. كأنه كابوس !.. أول ما خطر لى هو أن (جب) لا ينبغى أن يرى هذا .. استدرت لأجد (جب) منهمكًا مع البائع ، دون أن يفكر فى شرٍّ ما .. كانا

(*) مثل لفظة (جلا جلا) عندنا .

يتهامسان وينظران إلى .. (جب) يقف فوق مقعد مستدير والبائع يمسك بشىء يشبه طبلة عملاقة ..

صاح (جب) :

ـ « نحن نلعب (الاستغماية) يا بابا ..! »

وقبل أن أستوعب ما يحدث ، نزلت الطبلة فوق (جب) لتخفيه داخلها .. عندها أدركت ما سيحدث ... وصحت :

ـ « انزع هذه !.. إنك ستخيف الغلام .. انزعها ! »

نفذ البائع كلماتى دون أن يعلق .. وأدار الطبلة الكبيرة نحوى ليرينى أنها خاوية .. لقد اختفى ولدى !

أنت تعرف حتمًا ذلك الشعور القادم من المجهول بأن يدًا خفية تعتصر فؤادك .. عندئذ تشعر أنك فارقت نفسك التى ألفتها وصرت عنيفًا حازمًا .. بلا غضب ولا خوف .. هكذا كان الحال معى حين مشيت إلى الرجل وركلت المقعد جانبًا ..

ـ « أوقف هذا السخف !.. أين الغلام ؟ »

قال لى وهو ما زال يعرض علىّ داخل الطبلة :

ـ « كما ترى .. لا خداع هنالك ! »

مددت يدى نحوه فتملص .. هجمت عليه فتراجع وفتح بابًا خلفه كى يفرّ .. فصرخت فيه :

ـ « توقف ! »

ضحك .. وتراجع ليغيب عبر الظلام الحالك .. وسمعت من يقول :

ـ « فليرحمنى الله .. لم أرك قادمًا يا سيدى ! »

كنت هناك فى شارع (ريجنت) وقد اصطدمت بعامل يبدو مهذبًا .. وعلى بعد ياردة ـ حائرًا مشتتًا ـ كان (جب) يقف !

ورأيته يدنو منى بابتسامة معتذرة مشرقة ، وكأنما قد ضلّ طريقه لأول وهلة ثم وجدنى ..

وكان يحمل الطرود تحت ذراعه !..

على الفور أمسك بإصبعى كعادته ..

ولثانية شعرت بفقدان الوزن .. نظرت ورائى لأرى باب المتجر .. وبالطبع لم يكن هناك !.. لا باب .. لا متجر .. لا شىء .. فقط متجر الصور ، وجواره المفرخة .

فعلت الشىء الوحيد الممكن .. رفعت مظلتى إلى أعلى لأنادى سيارة أجرة ..

ركبت جوار (جب) .. وهنا شعرت بشيء في مؤخرة معطفي .. مددت يدي إلى هناك لأجد أنه كرة زجاجية .. رميتها إلى الشارع على الفور ..

ولم ينبس (جب) ببنت شفة ..

كانت مشكلتي هي معرفة كيف بدا له الأمر .. لكن أذى لم يمسه ، ولم تبد عليه أية علامات للخوف .. كان راضيًا تمامًا عن هذه المتعة .. وظللت أتساءل في حيرة عن محتوى الطرود .. وإن ندمت على أنني أبوه لا أمه وإلا كان في استطاعتي أن ألثمه فجأة وأمام الناس جميعًا ..

وحين فتحنا الطرود بدأت أطمئن ..

ثلاثة منها كانت تحوي جنودًا عاديين .. جنودًا من الرصاص تم صنعهم بإتقان شديد ... أما الطرد الرابع فكان يحوي هريرة بيضاء حقيقية تتمتع بصحة وشهية ممتازتين ..

فما إن رأيت هذا حتى شعرت بالارتياح ....

★ ★ ★

كان هذا منذ ستة أشهر .. واليوم فقط أعتقد أن الأمور على مايرام .. فالهريرة لم تكن مسحورة أكثر من أية هرة أخرى .. والجنود كانوا طبيعيين جدًا .. وماذا عن (جب) ؟

إن أي أب ذكي يعرف أنني يجب أن أتعامل بحذر معه .. لكنني تماديت في تعاملي .. وذات يوم سألته :

- « هل تحب أن تعيد هؤلاء الجنود إلى الحياة يا (جب) ؟ »

قال (جب) :

- « إنهم أحياء .. فقط يجب أن أقول لفظة ما قبل فتح العلبة » .

- « وعندئذ تدبّ فيهم الحياة ويمشون ؟ »

- « طبعًا يا بابا .. ما كنت لأحبهم لو لم يمشوا ..!

لم أبد دهشة ... لكني اعتدت من وقتها أن أدخل حجرته دون إنذار من حين لآخر .. لكني - حتى الآن - لم أرهم يقومون بعمل سحري ..

ثمة موضوع آخر متعلق بالمال ...

إن لديّ عادة مَرضية هي أنني أدفع ما عليّ من فواتير .. ولقد مشيت مرارًا في شارع (ريجنت) بحثًا



عن ذلك المحلّ .. وأعتقد أننى ـ من ناحية الشرف ـ قد فعلت المطلوب منى .. وما دام اسم (جب) وعنوانه معروفين لدى هؤلاء القوم .. فإن بوسعى أن أنتظر منهم أن يرسلوا الفاتورة لنا فى الوقت الذى يناسبهم ، وبصرف النظر عن حقيقة وسرّ وجودهم فى عالمنا .

(يونيو ١٩٠٣)

★ ★ ★

وادى العناكب

عندما انتصف النهار .. وصل الثلاثة المطاردون إلى منحنى فى مجرى السيل المطل على واد فسيح مقفر ..

لقد صار ممر الحصى الذى اقتفوا أثر المطارَدين عليه واديًا منحدرًا واسعًا .. ودون إشارة أو اتفاق ؛ توقف الرجال فوق مرتفع تحيط به أشجار الزيتون .. وهناك انتظروا .. رجلان يتبعان ثالثًا يمتطى جوادًا ذا سرج مطعم بالفضة ..

ولبرهة راحوا يمسحون الأفق الممتد تحتهم بعيون ملهوفة .. كان يمتد بعيدًا بعيدًا ، وقد انتثرت فيه أشجار الشوك هنا وهناك .. وبعض الأعشاب الصفراء تذوب من بعيد فى السفوح الزرقاء للتلال النائية .. وإلى الغرب يغيب الوادى فى ظلمة دانية تحت السماء حيث تبدأ الغابات ..

قال الرجل النحيل ذو الشفتين المليئتين بالندوب :

ـ « ليسا هنا .. » ـ وتنهد فى خيبة أمل ـ « لكنهما يسبقاننا بيوم كامل على كل حال .. »

ردّ الرجل الذى يمتطى الحصان الأبيض :

ـ « هما لا يعرفان أننا نتبعهما .. »

قال القائد بمرارة وكأنما يكلم نفسه :

ـ « ستعرف هى .. »

ـ « حتى لو علمنا .. فلن يرحلا بسرعة .. ليس معهما دواب سوى البغل .. و قدم الفتاة ما زالت تنزف .. »

نظر له الرجل ذو السرج الفضى فى حنق :

ـ « أتحسبنى لست بهذا عليمًا ؟ »

قال الرجل ذو الندوب :

ـ « لو أننا ركبنا .. وأسرعنا .... »

ثم ألقى نظرة على الحصان الأبيض وصمت ..

قال ذو السرج الفضى :

ـ « لعنة اللّه على الجياد البيضاء ! »

قال الرجل صغير الحجم راكب الحصان الأبيض :

ـ « قد حاولت وسعى .. »

ـ « هلما إذن .. »

قالها الرجل ذو السرج الفضى ، فهزّ الرجلان عنانى جواديهما .. وراحت حوافر الخيول ترسم طريقًا متعرجًا فوق العشب بينما هم يسيرون فوق الأثر ....

تدريجيًا بدا الأثر أكثر شحوبًا .. لأن طبقة الغبار صارت أرق .. لكنهم بمزيد من التدقيق والانحناء على

أعناق الخيول ، كانوا قادرين على اقتفاء الأثر ما بين عشب مهشم .. أو أثر قدم .. وفى ذات مرة رأى القائد لطخة من دم تركتها الفتاة .. فأطلق سبة فى سره يلعن حماقتها ..

كان ذو السرج الفضى يتقدم الطريق .. ولم يتبادل واحد من ثلاثتهم كلمة مع زميليه ..

فجأة شعر الرجل الثالث على الجواد الأبيض بشىء غير طبيعى .. إن الوادى ساكن أكثر من اللازم .. كان يرى سيده ورفيقه على جواديهما ، وقد سقط ظل كل منهما على الأرض أمامه .. وهو ذا يرى ظله هو نفسه أمامه .. فما الجديد ؟ لم تكن هناك أنسام .. هذا هو الشىء ..!.. الوادى كله يغفو فى قيلولة الظهيرة ، والسماء مفتوحة صافية فوق الرءوس ..

تنهد .. وضم شفتيه ليصفر .. عابث سرجه وأدار ظهره ؛ ليتأمل مدخل الوادى من حيث جاءوا .. منحدرات خاوية على الجانبين لا تنم عن وجود مخلوق له قيمة .. ولا نبات .. أى أرض هذه !..

شعر بنسمة صغيرة تعابث وجهه .. همسة تروح وتجىء .. محاولة أولى لأنسام محتملة .. من ثَمَّ بلل إصبعه ورفعه فى الهواء ....

من الأمام يرى ظهر سيده .. قبعته .. كتفيه .. تظهر وتختفى من وراء ظهر الرجل النحيل .. لقد ركبوا جيادهم أربعة أيام كاملة .. بلا ماء ولا شىء سوى قطعة من لحم مقدد تحت سرج كل منهم .. يمشون فوق صخور ومرتفعات لم يعش بها أحد من قبل سوى هذين الهاربين .. تصور ..!

وكل هذا من أجل فتاة .. مجرد فتاة ! لِمَ هذه الفتاة بالذات ؟

تساءل الرجل ولعق شفته الجافة بلسان مسودّ ..

إن هذا هو طريق سيده ، وهذا هو كل ما يعرفه .. لمجرد أن الفتاة حاولت أن تهرب منه ..

كان النسيم يزداد قوة ، وينتزع من الأشياء جمودها .. هذا شىء لا بأس به .. هنا توقف الرجل النحيل :

ـ « هاللو ! »

فتوقف ثلاثة الرجال فجأة .. وتساءل السيد :

ـ « ماذا هنالك ؟ »

ـ « انظر هناك .. »

ـ « ماذا ؟ »

ـ « ثمة شىء آت نحونا .. »

وهنا رأوا الكلب الأصفر قادمًا نحوهم جريًا .. لسانه متدل وجريه عنيف ملهوف حتى إنه لم يبال براكبى

الخيول حين دنا منهم .. كان يقترب وقد شمخ بأنفه ..
فتحسس راكب الجواد الأبيض سيفه :

- « إنه مسعور .. »

دنا الكلب منهم .. وفى اللحظة التى كاد السيف يمزقه فيها ، رأوه يواصل الركض لاهثًا مبتعدًا .. وتابعته عينا الرجل صغير الحجم .. وقال :

- « لا توجد رغاو على فمه »
- « هلما .. لم يحدث شىء ذو أهمية .. »

قالها راكب الحصان ذى السرج الفضى ... وواصل المشى بحصانه ..

شرع الرجل صغير الحجم يتهكم فى سرّه على الطبيعة البشرية ، وقد نسى لغز هذا الكلب المحموم القادم من قلب الريح .. هلما !.. لماذا يرزق بعض الناس دون سواهم بالسلطة التى تتيح لهم أن يتكلموا بهذه الثقة وهذا التأثير الكاسح ؟.. هلما !.. ليتنى أستطيع أن أقولها بذات السيطرة ..!

إن الناس يتعجبون عندما لا يُطاع هذا السيد .. لهذا اعتبر الناس تلك الفتاة مجنونة .. ربما ملحدة ..

أخرجته من خواطره أحاسيس غريبة فى كفيه وركبتيه .. وبدأ يوقن بوجود شىء ما .. تقدم إلى رفيقه النحيل وسأله :

- « هل لاحظت الخيول ؟ »

نظر له الرجل النحيل وغمغم :

- « هى لا تحب هذه الريح .. »

وواصل الركب مسيرته فى صمت .. وقد بدأت الريح تزداد قوة دقيقة بعد دقيقة .. ورأى الرجل الصغير كتلا سوداء تتحرك من بعيد فقال لنفسه : إنها خنازير برية تركض .. وواصل قلقه بصدد توتر الخيول غير المفهوم ..

سمعوا الصراخ .. ورأوا خنزيرًا بريًا عملاقًا يندفع .. أدار رأسه نحوهم ثانية واحدة ، ثم واصل الركض عبر الوادى ..

هنا توقف الفرسان الثلاثة وراحوا يرمقون الوادى .

قال القائد :

- « لو لم تكن هذه النباتات الشوكية التى تذروها الريح .. »

وهنا رأوا كرة عملاقة تتدحرج على بعد ياردات ... لم تكن كرة تمامًا بل شيئًا شفافًا محاطًا بمخاط كأنه قنديل البحر .. يجر خلفه نسيجًا متشابكًا لزجًا ..

قال الرجل الصغير :

- « ليس هذا نباتًا شوكيًا .. »

وقال النحيل :

- « لست مرتاحًا لهذا .. »

- « اللعنة ! » - قال القائد - « إن هذه الأشياء تعطلنا »

ودفعهم شعور غريزى كالذى يحرك قطيعًا من الظباء يهاجمه وحش ، إلى أن يديروا خيولهم فى اتجاه الريح .. ويتقدموا بضع خطوات .. ثم يقفوا ليتأملوا هذه الكتل المتحركة ..

كانت الكتل التى تمثل طليعة هذا الجيش العجيب تتقدم من الركبان .. وراحت الخيول تتراقص وتقف على أقدامها الخلفية .. هنا نفد صبر القائد فجأة .. وأطلق سبة :

- « ما الخطر من هذه الأشياء ؟ هلما نواصل بحثنا ! » وجذب لجام حصانه فكاد يمزق فمه ..

- « سأتبع الأثر مهما حدث .. أين الأثر ؟ »

فما كاد يقولها حتى هوى خيط طويل على وجهه .. وإلى مؤخرة رأسه جرى شىء سريع الحركة عديد الأرجل ..

رفع رأسه ؛ ليجد واحدة من هذه الكتل الرمادية فوقه ، ونهايتها كشراع مركب لكن مع إحداث جلبة ..

وفى ذهنه انطبعت صورة عيون عديدة .. حشد من الأجسام المترنحة .. أطراف عديدة تحاول الهبوط

فوقه .. ولبرهة راح يهدئ من روع الحصان بطريقة غريزية وبأسلوب رجل خبر الفروسية .. وفى هذه اللحظة التمع نصل السيف وهوى ليمزق خيط العنكبوت الذى تتدلى تلكم الكتلة منه .. وعلى الفور انفصلت هذه وتدحرجت بعيدًا ..

- « عناكب ! » - كان هذا هو الرجل النحيل - « هذه الكتل مفعمة بالعناكب ! انظر يا سيدى ! »

راح السيد ذو السرج الفضى يرمق الشىء المهشم على الأرض .. واستطاع أن يميز أرجلاً عديدة غير محببة الشكل .. وهنا رأى الرجل النحيل يشير إلى كتلة أخرى تتدلى فوقهم .. كان الوادى كله مليئًا بأشياء مماثلة ..

ولفترة حاول أن يفهم الموقف ..

أما ما حدث بعد ذلك فقد كان أقرب إلى فوضى المعارك ..

رأى ذو السرج الفضى الرجل الصغير يتقدمه وهو يضرب بوحشية خيوطًا غير مرئية .. ثم رآه يندفع نحو الرجل النحيل فيصطدم به ليسقطه وجواده أرضًا ..

أما جواده هو نفسه فقد مشى خطوات بعيدة قبل أن يتمكن من جذب لجامه ، وإلى أعلى نظر ليتلافى أخطارًا

تخيلية .. وإلى الأرض نظر ليجد جواد الرجل النحيل يتلوى .. والرجل النحيل نفسه يضرب جسده ؛ ليبعد كتلة من اللون الرمادى تتموج فوق الحصان ..

كانت كتل العنكبوت قادمة تذروها الرياح ..

كان الرجل النحيل راجلاً الآن وهو يمسك بزمام حصانه محاولاً تهدئة هياجه .. وباليد الأخرى يضرب بلا هدف ... وقد التحمت الكتلة الرمادية الأخرى به وبحصانه ..

توقف القائد وجذب لجام حصانه .. وأطرق برأسه ..

كان الحصان الذى يتلوى على الأرض قد أغرقها بالدماء وراحت أشياء متحركة تلهو حول خاصرتيه .. عندها تركه الرجل النحيل وراح يركض للأمام قاصدًا سيده ...

كانت ساقاه مغلفتين بالكتل الرمادية ، وثمة قناع من نفس اللون على وجهه .. وبيديه أتى بحركات غير مجدية محاولاً التملص .. ثم هوى متعثرًا .. حاول النهوض وسقط ..

عندئذ راح يصدر أصواتًا مريعة :

- « وووه .. أوووووه ! »

ونظر القائد إلى الرجل الصغير فوجده مرتكزًا ببطنه

على ظهر جواده الأبيض وقد أمسك اللجام .. وكان يتلوى .. ومن جديد هوى خيط رمادى لزج على وجهه .. ورأى نسيج العنكبوت حوله وفوقه وتحته ..

* * *

لن يعرف أبدًا إلى يوم مماته ما حدث ساعتئذ ..

هل هو من همز الحصان أم أن الحصان قد فرّ من تلقاء نفسه ؟ لا يهم .. يكفى أنه بعد ثانية كان يركض عبر الوادى وسيفه يلوح فى الهواء .. ومن حوله تتطاير كتل العناكب ونسيجها ، كأنما تبحث عنه بحثًا واعيًا مصممًا ..

كلاتر كلاتر !.. والرجل ذو السرج الفضى ينظر لأعلى .. لليمين .. لليسار .. ويلوح بسيفه .. ومن ورائه الحصان الأبيض وراكبه على ظهره فى وضع عفوى ..

كان مصممًا على الفرار حتى إنه لم يرِ الخندق الذى أمامه ، وحين رآه كان رد فعله خاطئًا ومعوقًا لوثبة الحصان الغريزية .. انحنى فوق عنق الحصان متأخرًا جدًا ..

لكنه إن كان قد نسى الوثب فهو لم ينس السقوط .. ولهذا استعاد خبرته فى الفروسية وهو فى الهواء .. وجعل السقطة طفيفة فيما عدا كدمة فى كتفه .. وتدحرج الحصان وركل الهواء بأقدام متشنجة ثم تصلب تمامًا ..



لكنه إن كان قد نسى الوثب فهو لم ينس السقوط ..

عاد الرجل يقف على قدميه لاهثًا .. ولدقيقة خطر له أن يجرى ثم أدرك أنه آمن ها هنا فى الخندق .. يمكنه أن ينتظر ويرقب هذه العناكب حتى تهدأ الرياح ويغدو الهرب مأمونًا ..

وقد كان .. ولفترة طويلة جلس القرفصاء فى الخندق يرمق تلكم الكتل الرمادية تتطاير فى فرجة السماء فوق رأسه ..

ذات مرة سقط عنكبوت ضال فى الخندق وراءه .. وكان يبلغ قدمًا فى طوله وكان جسمه فى حجم قبضة الرجل ..، راح الرجل يداعبه بطرف سيفه الذى تهشم فى السقطة ـ كأنما القدر يأبى أن يبقى فارسه بعد الآن وراح يراقب بحثه الدقيق المحموم .. ثم رفع كعب حذائه وهشمه مطلقًا سبة ..

مرّ وقت طويل قضاه ـ كعادته ـ فى قرض أظفاره وعض سلاميات يديه .. حتى أخرجه من شروده مجىء الحصان الأبيض بفارسه ..

سمع الحوافر والصوت المطمئن .. ثم ظهر الرجل ورأسه مغطى بنسيج العنكبوت .. اقترب دون أن يلفظ بعبارة تحية أو أى شىء .. وعلى وجهه أمارات المرارة واليأس ..

وأمام سيده الجالس وقف ..

- « هل تخليت عنه ؟ »

- « تعثر جوادى .. »

- « أعلم .. وكذلك أنا .. »

وضحك دون حبور .. فقال القائد الذى كان ذا سرج فضى يومًا ما :

- « قلت لك : إن جوادى تعثر .. »

- « كلانا جبان ! »

رمقه القائد فى حنق وعض سلامياته بعنف أكثر .. ثم غمغم :

- « لا تدعنى جبانًا .. »

- « أنت جبان مثلى .. »

- « ربما .. لكنَّ هناك حدًا يجب أن يجبن عنده كل رجل .. لقد تعلمت ذلك أخيرًا لكنك لم تفعل .. وهذا هو الفارق بيننا .. »

- « لم أحسبك تاركه وقد أنقذ حياتك قبلها بدقيقة .. أين كنت يا سيدى ؟ »

ادلهمت سحنة القائد وعض أنامله ..

- « لا أحد يدعونى جبانًا .. وسيف مكسور خير من لا شىء .. وحصان أبيض لن يقدر على حمل رجلين

أربعة أيام .. أنا أمقت الخيول البيضاء لكنى مضطر .. هل فهمتنى ؟.. أنت تنوى أن تشوه سمعتى .. الرجال على شاكلتك يفسدون الأمور .. وإلى جانب هذا ...... أنا لم أحبك قط ! »

ووقف الرجلان الواحد فى مواجهة الآخر ..

وفوق رأسيهما راحت كرات العناكب تتطاير .. ومن بين الحصى دوى صوت حركة .. ركض أقدام .. صرخة يأس .. ثم ضربة ....

★ ★ ★

توقفت الريح مساء .. وغربت الشمس فى صمت ..

ومن الخندق خرج الرجل الذى كان ذا سرج فضى ؛ وهو يقود الحصان الأبيض .. فكر لحظة فى استعادة سرجه الفضى من الجواد النافق ، لكنه خشى الليل وتسارع الهواء .. وخشى كذلك أن يجد جواده الحبيب وقد تآكل تمامًا ..

راح يرمق الوادى فى رهبة وتذكر نجاته من كل الأهوال التى لاقاها ..

- « كنت مليئًا بالشهوة .. لكنها لاقت جزاءها .. بالتأكيد هى وهو قد ... »

وفجأة رأى عبر الوادى وفى ضوء الغروب دخانًا يتصاعد ..

عندئذ تحول استسلامه إلى غضب مدهش .. دخان ؟ كاد يتجه بالحصان الأبيض نحوه .. لكن الريح عادت تهبّ منذرة .. ورأى من بعيد خيوط عنكبوت رمادية تتطاير .. أعاد النظر للدخان .. وغمغم :

ـ « ربما ـ على كل حال ـ لم يكونا هما .... »

لكنه كان يعرف جيدًا ..

وانطلق بجواده بين بقايا العناكب التى تملأ الأرض على الجانبين .. كانت هناك عناكب ميتة تتغذى عليها أخواتها الحية فى شراهة .. لقد ولى وقتها ولم تجد ريحًا تحملها إلى فرائس ..

راح يبعد بحزامه العناكب التى تدنو أكثر من اللازم .. ويبتعد ..

ومن حين لآخر ينظر وراءه إلى الدخان ..

ـ « عناكب ! » ـ غمغم لنفسه مرارًا ـ « .. عناكب .. حسن .. حسن !.. فى المرة القادمة سأنسج بيت عنكبوت للمرأة ... »

(مارس ١٩٠٣)

★ ★ ★



بلد العميان

بلد العميان

ثلاثمائة ميل من (كيمبورازو) ومائة ميل من ثلوج (كوتاباكسى) .. فى أحراش الأنديز الإكوادورى ؛ هذا هو موقع ذلك الوادى الغامض المنعزل : بلد العميان ..

كان هذا الوادى مفتوحًا على العالم منذ أعوام طوال ، فكان الناس قادرين على المجىء إليه .. جاءته عائلة أو اثنتان من سكان (بيرو) الهاربين من جشع وطغيان المحتل الأسبانى .. ثم جاءت زلازل (ميندوبامبا) الرهيبة التى أظلمت لها سماء (كيتو) سبعة عشر يومًا .. وغلى لها الماء فى (ياجواتشى) ، عندئذ انفصل جزء من أخدود (أرواكا) وعزل بلد العميان عن المستكشفين إلى الأبد ..

غير أن واحدًا من القادمين كان فى الجانب الآخر من الممر حين ارتجفت الدنيا .. فنسى كل شىء عن ولده وزوجه وبدأ حياة جديدة .. وأصيب فيما بعد بالعمى ومات فى أحد المناجم .. وعاشت القصة التى حكاها عن بلد العميان كأسطورة بين شعوب (كولديراز) حتى اليوم .

قال الرجل : إن بلد العميان يزخر بكل ما يشتهى الفؤاد .. ماء عذب .. خضرة .. طقس معتدل .. أرض خصبة .. وغابة شامخة الأغصان تحوى ثمار الأناناس .. والسماء لا تمطر ولا تتساقط منها الثلوج ها هنا ..

لكن الينابيع الوافرة تعطى خضرة غنية .. ، والحيوانات تتوالد وتنمو ..

لكن شيئًا واحدًا أفسد رونق سعادة هؤلاء القوم .. شيئًا واحدًا لكنه عظيم الشأن .. فقد راح مرضٍ غريب يهاجمهم جعل كل أطفالهم مكفوفى البصر ..

وفى ذلك الوقت ما كان الناس يفكرون فى الجراثيم ولكن فى الخطايا .. ورأى الرجل ـ الذى عاد إلى هذا البلد ـ أن سبب المرض يعود إلى إهمال هؤلاء القوم لإنشاء محراب فى أرضهم .. وأزمع أن ينشئ محرابًا جميلاً زهيد التكلفة تقام فيه الصلوات وتعلق فيه الأيقونات ..

لكنه حين أحضر قسًا مبشرًا ليعود ، به إلى هناك ؛ وجد الزلزال قد عزل هذه الأرض تمامًا عن عالمنا ..

★ ★ ★

وواصل الداء مسيرته فى هذا الوادى المقفر المنسى .. صار الشيوخ ضعيفى البصر .. وصغار السن

يرون بعسر ومشقة .. أما الأطفال فلم يكونوا يرون على الإطلاق ..

لكن الحياة كانت ميسرة فى هذا الوادى الذى حاصره الجليد ، دون أدغال ولا حشرات ضارة ولا وحوش فيما عدا قطعان (اللاما) التى راحوا يرعونها هناك ..، واستمر بصرهم يتلاشى بالتدريج حتى إنهم لم يلاحظوا ما يفقدون .. وراحوا يقودون الصغار العميان هنا وهناك حتى يحفظوا معالم الوادى بدقة ، وحينما تلاشى النظر نهائيًا من عالمهم كانوا قادرين على الاستمرار ..

تعلموا كيف يسيطرون على نار لا يرونها .. فقد كانوا أناسًا بسطاء لم تمسهم الحضارة الأسبانية إلا قليلاً .. لكنهم يملكون الثقافة التقليدية لشعوب (بيرو) وفلسفتهم القديمة ..

وراح جيل يتلو جيلاً .. ونسوا العديد من الأشياء ، وابتكروا العديد من الأشياء .. وصار العالم الذى جاءوا منه باهتًا غير مؤكد .. وفيما عدا البصر ظلوا أقوياء قادرين .. ونما المجتمع الصغير فى العدد وفى التفاهم .. حتى جاء الوقت الذى ولد فيه أول طفل من الجيل الخامس عشر ..

وفى يوم من الأيام دخل رجل من العالم الخارجى إلى هذا العالم .. وهاك قصته .....

★ ★ ★

كان متسلق جبال من بلدة قرب (كيتو) .. رجل أسفار رأى العالم وقرأ كثيرًا ..، وقد اصطحبته مجموعة من الإنجليز قدموا إلى (الإكوادور) لاستكشاف الجبال بدلاً من مرشدهم السويسرى الذى أصابه المرض ..

ولقد تسلق الجبال فى كل مكان حتى وصل إلى جبل (باراسكوتوبتل) فى (الأنديز) .. حيث فقد العالم الخارجى أخباره .. وقد سردت جهات كثيرة القصة لكن خيرها ما نشر فى جريدة (بوينتر) ؛ وتحكى كيف أن المجموعة واصلت صعودها شبه الرأسى ، وبنى رجالها مأوى ليليًا وسط الثلوج على حافة صخرة .. ثم بقوة مسرحية اكتشفوا أن (نونيز) لم يعد بينهم .. صرخوا فلم يتلقوا إجابة .. ولم ينم أحدهم ليلتها ..

وفى الصباح رأوا آثار سقطته .. لقد انزلق غربًا نحو الجانب المجهول من الجبل لينحدر فوق الثلوج إلى حيث يتوارى المشهد .. ومن بعيد رأوا أشجارًا فى واد سحيق هو بلد العميان .. لكنهم لم يعرفوا أن هذا هو

بلد العميان .. لقد حطم الحادث أعصابهم وأزمعوا عند الظهيرة أن يتخلوا عن المحاولة .. ولم تزل القمة التى لا تقهر يزهو بها جبل (بارسكوتوبتل) حتى ساعتنا هذه ...

لكن الرجل الذى هوى لم يمت !..

عند نهاية الجبل هوى ألف قدم ، وهبط وسط سحابة من الثلج فوق منحنى جليدى .. وعندئذ تمدد فاقد الحس لكن دون عظمة مهشمة واحدة .. ودفن وسط كومة ناعمة من الثلج صاحبت سقطته وخففت منها ..

عاد إلى وعيه متخيلاً أنه سقيم فى الفراش .. ثم أدرك موقفه بفطنة متسلق جبال ، فتحرر وراح يرمق الجبال والنجوم .. لقد تمزقت أكثر أزرار معطفه وضاعت قبعته وفأسه ..

نظر لأعلى فرأى فى ضوء القمر تلك المسافة الرهيبة التى سقطها ..

وقف على قدميه شاعرًا بألم فى كل مفصل من مفاصله .. وهبط فى منحدر جليدى حتى تمدد جوار صخرة كبيرة ، وجرع جرعة كبيرة من زجاجة يحملها فى جيبه الداخلى ثم غرق فى النعاس ..

★ ★ ★

أيقظه غناء الطيور ، فجلس مدركًا أنه عند سفح قمة واسعة .. وأمام عينيه كان حائط عملاق يسدّ السماء .. راح ينزل فى منحدرات وعرة حتى رأى مجموعة من الأكواخ الحجرية غريبة الشكل .. وكانت هناك أشجار ..

هنا كان المساء قد حلّ والهواء يزداد برودة ..

عند منتصف اليوم التالى وصل إلى الوادى .. فجلس فى ظل صخرة وملأ زجاجته من ماء ينبوع وتجرعها .. ثم مشى نحو المنازل التى رآها أمس ..

كانت غريبة تمامًا بالنسبة له .. الوادى كله بدا له غريبًا غير معتاد ..، أكثره مغطى بكلأ أخضر تنتثر فيه الزهور .. ويتم ريّه بوساطة قنوات تم حفرها بعناية فائقة ..

كانت هناك قناة مائية تحيط بالوادى ، وعلى المنحدرات العالية كانت (اللاما) ترعى العشب .. ورأىَ الرجل طرقًا تم تمهيدها من صخور بيضاء وسوداء .. أما البيوت نفسها فكانت متعددة الألوان إلى حدّ لا يصدق ، وما من نافذة فى أى منها .. وهنا فقط خطرت له لفظة (أعمى) .. الرجل الطيب الذى اختار هذه الألوان كان بالتأكيد أعمى كوطواط ..

دنا أكثر فرأى حشدًا من رجال ونساء يستريحون فوق العشب كأنما فى قيلولة ، من بعيد بعض الصبية يرقدون .. وفى الناحية النائية من المروج رأى رجالاً يحملون قِرب الماء عبر الطريق الضيق المتجه إلى المنازل ، وكانوا يرتدون ثيابًا ونعالاً وأغطية رأس من فراء اللاما وجلدها ..

كان منظر القوم مطمئنًا ، فوقف (نيونز) فوق الصخرة ليجعل نفسه واضحًا للعيان .. وصرخ بأعلى صوته صرخة رددها الوادى ..

توقف ثلاثة من الرجال وحركوا رءوسهم كأنما يبحثون من حولهم .. فلوح لهم (نيونز) .. لكنهم لم يظهروا ما يدل على أنهم أبصروه .. بل قصدوا الجبل على اليمين وصرخوا .. لوح لهم (نيونز) وللمرة الثانية خطرت له لفظة (أعمى) .. « لابد أن هؤلاء الحمقى عميان .. »

أخيرًا عبر جسرًا صغيرًا فوق مجرى الماء ، وعبر بوابة حجرية ؛ ليصل إليهم .. الآن غدا واثقًا من أن هذا هو بلد العميان الذى تكلمت عنه الأسطورة ..

وقف الرجال الثلاثة متجاورين .. لا أحد منهم ينظر له بعينيه لكن بأذنيه .. وبدا شىء من الوجل فى

وقفتهم المتراصة .. وأدرك أن جفونهم ملتصقة غائرة كأنما المحاجر خلفها قد تلاشت ..

قال أحدهم بلغة أسبانية يستحيل تبينها :

- « رجل .. رجل أو روح .. جاء من الصخور .. »

تقدم (نيونز) بخطى ثابتة من الشاب ، وفى ذهنه كل القصص المفقودة عن بلد العميان .. وترددت فى ذهنه تلك المقولة الشائعة مرارًا وتكرارًا :

- « فى بلد العميان يغدو الأعور ملكًا .. »

حياهم بشكل شديد التحضر .. وتحدث معهم ..

تساءل أحدهم :

- « من أين الرجل يا أخ (بدرو) ؟ »

قال (نيونز) :

- « من فوق الجبال .. من البلاد هناك حيث يبصر الناس .. من (بوجاتا) حيث يعيش ثلاثمائة ألف نسمة وتبتعد المدينة عن البصر .. »

- « بصر ؟!.. بصر ؟! »

قال الأعمى الثانى :

- « جاء من وراء الصخور .. »

كانوا يمدون أيديهم نحوه بحركات متزامنة .. فتراجع بعيدًا عن أناملهم .

قال الأعمى الثالث وهو يتجه نحوه بدقة ويمسك به :

- « تعال ها هنا ! »

وراحوا يتحسسونه دون أن يتبادلوا كلمة واحدة ..

- « خذوا الحذر ! »

قالها (نيونـز) متألمًا من إصبع فى عينه .. لقد وجدوها وبدت لهم بجفونها الرامشة شيئًا مثيرًا للعجب .

قال المدعو (بدرو) :

- « هذا مخلوق غريب يا (كوريا) .. تأمل خشونة شعره كشعر (اللاما) »

ردّ (كوريا) وهو يتحسس ذقن (نيونز) بيد ناعمة رطبة :

- « خشن هو كالصخور التى جاء منها .. ربما يزداد نعومة فيما بعد » .

- « بحذر ! »

قالها (نيونز) وهو يحاول التملص منهم .. وهنا اقترح (بدرو) :

- « هلم نقده إلى الكبار .. »

وأمسك (بدرو) بيد (نيونز) ليقوده إلى البيوت .. فسحب هذا يده :

- « أستطيع أن أرى .. »

- « ترى ؟ »

وهنا تعثر (نيونز) فى الحقيبة التى كان (بدرو) يحملها .. فقال الثالث :

- « حواسه ما زالت غير دقيقة .. إنه يتعثر ويقول أشياء بلا معنى .. امسكوا بيده .. »

ضحك (نيونز) ومدّ يده لهم مستسلمًا .. سيحين الوقت الذى يعلمهم فيه ما لا يفهمون ..

وهنا سمع الصراخ ، ورأى عددًا من القوم يحتشدون فى مركز القرية .. وأحاط به حشد من النساء والأطفال كلهم لهم نفس العيون الغائرة الملتصقة .. وشعر بأيد حساسة ناعمة تتحسسه وأنوف تشمه .. لكن بعض الواقفين ظلوا يخشونه .. وأدرك أن صوته كان خشنًا فظًا بالنسبة لأصوات هؤلاء الناس ..

ظل الرجال الثلاثة يحيطونه بنوع من الامتلاك مرددين مرارًا وتكرارًا :

- « رجل متوحش من الصخور » .

قال (نيونز) :

- « من (بوجوتا) .. (بوجوتا) .. »

- « رجل متوحش يستعمل ألفاظًا متوحشة .. أسمعتم هذا ؟ (بوجوتا) ؟ إن عقله لم يتشكل بعد ومازال يستعمل كلامًا بدائيًا .. »

- « اجلبوه إلى الكبار .. »

واندفع إلى غرفة دامسة الظلام تلتمع النار فى نهايتها .. وأحاط به الجميع وضغطوا عليه فسقط عند قدمى رجل جالس .. وشعر بأيد عديدة تتحسسه فصاح :

- « لا أرى شيئًا فى هذا الظلام .. »

ساد صمت كأنما القوم حوله يحاولون فهم كلماته .. ثم سمع صوت (كوريرا) يقول :

- « هو رجل جديد الخلق .. يتعثر فى مشيه ويقول كلامًا بلا معنى » سألهم :

- « هل لى أن أقف ؟ لن أقاوم .. »

فسمحوا له بالنهوض ..

عندها راح العجوز يسأله ، وراح (نيونز) يشرح له العالم الكبير الذى سقط منه .. والسماء والعجائب التى لم يرها أولئك الشيوخ الجالسون فى الظلام فى وادى العميان ..

لكن القوم لم يفهموا أكثر ما قال ، ولم يبالوا به .. لقد انقطع هؤلاء القوم عن العالم الخارجى أربعة عشر جيلاً .. تغيرت أسماء كل شىء ، وصارت دنيانا مجرد قصة أطفال خيالية ..

وتكفل حكماؤهم بنفى كل الذكريات الباهتة التى حملوها معهم من العالم الخارجى .. ناقشوها .. وأثبتوا أنها أوهام .. واستبدلوا بها تفسيرات أكثر حكمة ..

ذبل جزء كبير من مخيلتهم مع أبصارهم .. لكنهم صنعوا لأنفسهم خيالات جديدة بآذانهم وأناملهم شديدة الحساسية ..

ولما قنط (نيونز) من جعلهم يفقهون كنه الإبصار ؛ راح يصغى إلى تعليماتهم ..

شرح له أكبر القوم الحياة والفلسفة والدين .. وكيف أن عالمهم كان فى البدء حفرة فى الصخر .. ثم ولدت مخلوقات بدائية عاجزة عن اللمس ومعها حيوانات (اللاما) .. ثم جاء البشر فالملائكة التى تحدث أصواتًا لكن أحدًا لا يقدر على لمسها ..

حيّر هذا الجزء (نيونز) قليلاً ثم عرف أنهم يتكلمون عن الطيور ..

راح الرجل يحكى لـ (نيونز) كيف أن الزمن انقسم إلى جزأين ؛ بارد ودافئ — وهما المعادلان المكفوفان لليل والنهار — وكيف أنه من المستحب أن ينام المرء فى (الدافئ) ويعمل فى (البارد) ..

وقال لـ (نيونز) إنه يجب أن يخدم الحكمة التى

اكتسبوها .. وأنه ـ برغم تعثره وعجزه عن الكلام ـ يجب أن يتعلم وأن يكون ذا شجاعة ، هنا راح القوم يغمغمون مؤيدين ..

قال كذلك : إن (الدافئ) قد توغل ؛ وإنه من الخير أن يعود كل امرئ إلى فراشه لينام ..

قال (نيونز) إنه راغب فى أن يصيب بعض الطعام قبل أن ينام .. فجلبوا له بعض لبن (اللاما) فى (سلطانية) ومعها خبز خشن مملح .. ثم قادوه لمكان منعزل ؛ ليأكل فيه ويغفو حتى يوقظهم هواء ليلنا البارد كى يباشروا عمل يوم جديد ..

لكن (نيونز) لم ينم قط ..

جلس حيث تركوه ، وأراح جسده إلى الوراء وراح يستعرض ما حدث له منذ جاء ها هنا ..

ـ « عقل غير ناضج ..!.. لا حواس !.. إنهم لا يعلمون أنهم يهينون سيدهم وملكهم الأعلى .. يجب أن أردهم إلى الصواب .. »

وما زال يفكر حين غربت الشمس ..

خرج ليرمق القرية .. انعكاس الشمس الغاربة فوق الجليد كأجمل ما رآه فى حياته .. انتابته رجفة من العرفان فحمد الله من أعماق قلبه على نعمة البصر التى منحه الله إياها ..

هنا سمع من يناديه من القرية :

ـ « هيه أنت ! (بوجوتا) !.. تعال ! »

وقف وابتسم .. سيرى هؤلاء القوم معنى الإبصار الآن .. لسوف يبحثون عنه لكنهم لن يجدوه ..

ضحك .. وتنحى خطوتين عن الطريق .. فسمع من يقول :

ـ « لا تمش على العشب يا (بوجوتا) .. فهذا غير مسموح به .. »

تصلب (نيونز) مدهوشًا ..

فهو لا يكاد يسمع صوت خطواته هو نفسه ..

وجاء صاحب الصوت مندفعًا نحوه .. فعاد (نيونز) إلى الطريق وقال :

ـ « هأنذا .. » .

قال الأعمى :

ـ « لِمَ لَمْ تأت حين ناديتك ؟ أينبغى أن تُقاد كطفل ؟ ألا تسمع صوت الطريق تحت قدميك ؟ »

ـ « نعم .. لأننى أراه .. »

ـ « لا توجد كلمة اسمها (أراه) .. هلم اتبع صوت خطواتى .. »

تبعه (نيونز) شاعرًا بالحنق .. وغمغم :

- « ألم تسمع مقولة (فى بلاد العميان يغدو الأعور ملكا ؟ »

- « ما معنى (العميان) ؟ »

ومرت أربعة أيام ..

وفى اليوم الخامس كان الملك بعد نكرة .. مجرد غريب أخرق بلا نفع .. كان الأمر أعسر مما ظَن ...

على أنه راح يتعلم أساليب وعادات بلد العميان ..

وكان أول ما ضايقه وأزمع تغييره هو موضوع العمل ليلاً ..

إن هؤلاء القوم يعيشون حياة شاقة بسيطة لكنها سعيدة .. كانت لديهم كفايتهم من الثياب والأطعمة .. وكانوا ينالون قسطًا من الراحة ولديهم غناء وموسيقا .. ولديهم حبّ ..

كان كل شىء فى الوادى مصممًا لقضاء حاجاتهم .. كل الطرق لها علامة بارزة خاصة عند بدايتها كل العوائق فى الطريق قد تمت إزالتها ..

وكانت حواسهم قد صارت مرهفة بشكل مذهل .. حتى غدا بوسعهم سماع حركة رجل على بعد اثنتى عشرة خطوة .. وربما سمعوا خفقات قلبه ..

بالإضافة لذلك كانت قدرتهم على الشمّ مذهلة .. وكانوا يعرفون المرء من رائحته كما تفعل الكلاب تمامًا .

تمرد (نيونز) فقط بعد ما جرّب الإقناع الودى مع هؤلاء القوم ..

حاول مرارًا أن يحدثهم عن الإبصار :

- « اصغوا لى يا قوم .. ثمة أشياء لا تفهمونها فى ..»

وقف رجل أو اثنان يصغون له ، وقد أداروا آذانهم تجاهه ..

وحاول جهده كى يحدثهم عن معنى الإبصار ..

كانت هناك فتاة بين المستمعين .. فتاة لها جفنان أقل احمرارًا وغورًا من الآخرين مما يعطيها انطباعًا بأنها تطرق حياء .. وقد حاول أن يقنع هذه بالذات ..

تحدث عن جمال الجبال .. عن الشمس .. عن الفجر .. وراحوا يصغون إليه فى عدم تصديق يمازجه شعور بالتسلية ..

قالوا له : إنه لا توجد جبال ، وإن الصخور التى ترعى عندها (اللاما) هى نهاية العالم .. بعد هذا يبدأ سقف العالم ..

قال لهم : إن العالم بلا سقف ولا نهاية .. فقالوا إن أفكاره شيطانية .. لقد هزّ عقائدهم وإيمانهم بأن للعالم سقفًا أملس ناعمًا ..

هنا تخلى عن المحاولة وأزمع أن يريهم جدوى الإبصار ..

رأى (بدرو) قادمًا على الطريق الذى يسمونه (السابع عشر) نحو مركز القرية ، لكنه كان أبعد من أن يُسمع أو يُشم ..

قال لهم متنبئًا :

- « بعد هنيهة سيكون (بدرو) ها هنا » .

قال أحد الشيوخ إن (بدرو) لا يوجد ما يدعوه إلى المشى فى الطريق (السابع عشر) ..

وهنا - وكأنما ليؤكد الكلام - غيّر (بدرو) مساره ليمشى فى الطريق (العاشر) !

سخر القوم من (نيونز) حينما لم يأت (بدرو) ، وفيما بعد حاول أن يفهم من (بدرو) سرّ تغييره لطريقه .. لكن هذا الأخير أنكر وتهرب .. ثم صار معاديًا تجاهه ..

حاول أن يحدثهم عما يحدث بين المنازل .. لكنهم طلبوا منه أن يحدثهم عما يحدث بداخلها .. ولما

أخبرهم أن هذا مستحيل حتى لمن كان بصيرًا قوبل بسخرية لم يخفوها ..

عندها قرر استعمال القوة ..

فكر فى حمل هراوة يهشم بها رأسًا أو رأسين ليعرف الباقون نفع الإبصار .. هنا عرف عن نفسه شيئًا جديدًا : من المستحيل عليه أن يهشم رأس رجل ضرير بأعصاب باردة ..

تردد .. لكنه عرف أنهم جميعًا أحسّوا بأنه يمسك الهراوة .. رآهم قد تصلبوا وراحوا يرهفون السمع لمعرفة ما ينوى عمله .. وقال واحد منهم :

- « ألق الهراوة حالاً .. »

شعر (نيونز) بنوع من الرعب العاجز ، وكاد يطيع .. ثم إنه قذف بواحد منهم إلى جدار وانسل من جواره خارجًا من القرية ..

ذهب إلى أحد المروج وجلس .. كان يشعر باندفاع للقتال لكنه كان حائرًا .. وبدأ يدرك أنه من العسير عليك أن تقاتل فى رضا رجلاً يختلف عنك فى أساس فكره ..

ومن بعيد رأى جمعًا منهم يحملون العصى ويمشون فى مسارات متفرقة نحوه .. كانوا يمشون ببطء ويتحدثون مع بعضهم ويتشممون الهواء ..

ضحك (نيونز) حينما رآهم .. لكنه بعد هذا كفّ عن الضحك ..

راح يرقب حزامهم .. وازداد ذعره ..

وقف خمس دقائق يرمق الحصار يزداد إحكامًا .. ثم قرر أن يتحرك .. كانوا يحيطون به على شكل هلال ويصغون ..

قبض على الهراوة وارتفع النبض إلى أذنيه ..

« فى بلد العميان يغدو الأعور ملكًا »

هل يضربهم ؟..

- « (بوجوتا) .. أين أنت ؟ »

احتضن الهراوة بقوة أكبر واتجه نحو المروج .. لسوف أقتلهم لو لمسونى .. بحق السماء سأضرب ..

ونادى بصوت عال :

- « اصغوا إلىّ .. لسوف أفعل ما أريد فى هذا الوادى .. أتسمعون ؟

سأفعل ما أريد .. وأذهب حيثما أريد ! »

لكنهم كانوا قادمين بسرعة نحوه .. كأنما يلعبون (المساكة) وقد غطى الجميع أعينهم فيما عدا واحدًا ..

- « اقبضوا عليه .. »

شعر بأنه يجب أن يكون حازمًا .. فصاح فيهم بصوت كان من المفترض أن يكون قويًا :

- « أنتم لا تفهمون .. » - وهنا صار صوته مبحوحًا - « أنتم عميان وأنا مبصر .. دعونى وشأنى ! »

- « (بوجوتا) .. دع الهراوة وتعال ..! »

- « سأؤذيكم ! » - بصوت يرتجف انفعالاً - « بحق السماء .. دعونى وشأنى .. »

وراح يركض غير عالم إلى أين .. تجنب الأعمى الأول ، ثم استدار ليتفادى صفوفهم .. اتجه نحو ثغرة بينهم لكن الرجال أحسوا بقدومه فاغلقوها .. كان هناك رجل يسدّ الطريق عليه .. سويش !.. شعر بالضربة تهوى على الذراع .. وسقط الأعمى على الأرض يئن ألمًا .. لكنه قد مرّ من بينهم .. مرّ !..

عاد يركض فى الشارع بينما عاد العميان يتبعونه ملوحين بهراواتهم وعصيهم .. وهنا سمع جلبة خلفه فاستدار ليرى رجلاً عملاقًا ينقض عليه بعد ما سمع صوت خطواته .. فقد أعصابه فهوى على رأس الرجل بالهراوة ..

لقد تملكه الهلع .. راح يجرى بجنون وهو يتلفت حوله فيتعثر .. وهنا وجد بابًا فى الجدار المحيط بالقرية كأنه باب الجنة ..

فاندفع نحوه وعبره .. ومشى فوق الجسر ... وأثار فزع (لاما) صغيرة ففرت بعيدًا .. ثم رقد أرضًا يلهث من أجل الهواء ..

وهكذا انتهت مغامرته ..

قضى ليلتين خارج السور دون طعام ولا مأوى ، يتأمل فى كل ما لم يتوقعه .. راح يردد دون كلل :

ـ « فى بلد العميان يغدو الأعور ملكًا .. »

رسم خططًا عديدة يقهر بها هؤلاء القوم .. لكن ما من طريقة بدت له ممكنة .. ليس لديه سلاح ومن العسير الحصول على واحد .

ما زال عاجزًا عن التفكير فى قتل رجل أعمى .. ولو فعل هذا لكان بوسعه أن يملى عليهم شروطه .. لكن ـ عاجلاً أم آجلاً ـ سينام ..!

حاول أن يجد طعامًا فى أشجار الأناناس أو أن يقتل (لاما) بحجر كى يأكلها .. لكن (اللاما) ظلت مرتابة فيه ترمقه بعينيها غير مطمئنة ، وتبصق حين يمر جوارها ..

فى اليوم الثانى شعر بالذعر وراح يرتجف بردًا ... وفى النهاية تسلق الحائط وعاد إلى وادى العميان

وقرر أن يعقد صلحًا .. وهكذا راح يصرخ حتى جاءه رجلان ضريران :

ـ « كنت مجنونًا .. لكنى حديث الصنع كما تعلمان »

قالا : إن هذا أفضل .. فقال لهما : إنه ازداد حكمة وإنه نادم على ما صنع .. وفجأة بكى .. بكى من ضعفه ومرضه .. واعتبر الرجلان هذه علامة حميدة ..

سألاه عما إذا كان يعتقد بعد أنه (يرى) .. فقال :

ـ « لا .. كانت هذه حماقة .. فاللفظة بلا معنى تمامًا »

سألاه عما فوق الرءوس :

ـ « توجد قبة من الصخور الملساء تعلونا بعشرة أمثال قامة الرجل وانخرط فى بكاء هستيرى :

ـ « قبل أن تسألا المزيد أعطيانى بعض الطعام قبل أن أموت » .

وتوقع العقاب .. لكن هؤلاء العميان كانوا يملكون قدرة عالية على التسامح ، واعتبروا ثورته دليلاً آخر على عتهه وانحطاطه ..

جلدوه قليلاً ثم كلفوه بأبسط وأشق الأعمال .. ولم يكن لديه طريق آخر للحياة فخضع لما يطلبون منه ..

وهكذا غدا (نيونز) مواطنًا صالحًا فى بلد العميان ، وكف أولئك الناس عن أن يكونوا عامّين بالنسبة له ..

بل بدأ يرى الفوارق الفردية بين بعضهم والبعض .. وبدأ العالم الخارجى يغدو باهتًا غير واقعى ..

كان هناك (يعقوب) سيده - رجل طيب حين لأيثار - و (بدرو) ابن أخ (يعقوب) .. و (ميديناسروتى) صغرى بنات (يعقوب) .. لم يكن العميان يعجبون بها لأن وجهها حادّ وليست فيه تلك المنحنيات الناعمة التى هى فكرتهم عن الجمال الأنثوى .. لكن (نيونز) وجدها جميلة .. جميلة حقًا ..

ولم يكن جفناها غائرين وأحمرين بل طبيعيين ، كأن عينيها قد تُفتحان فى أية لحظة .. وكانت أهدابها طويلة ، الأمر الذى يعتبره العميان تشويهًا مروعًا .. ثم إن صوتها كان قويًا لا يناسب أسماعهم المرهفة .. لهذا لم يحبها أحد فى الوادى ..

وجاء وقت فكر فيه (نيونز) أنه لو فاز بها لأحب البقاء فى الوادى ابدًا ..

راح يراقبها .. وينتهز الفرصة ، ليقدم لها خدمات صغيرة .. حتى وجد أنها لاحظته .. وذات مرة وضع يده على يدها فامسكتها وبادلته الضغط فى رقة ..

فكر فى أن يكلمها ..

قصدها يومًا وهى جالسة فى ضوء القمر تغزل الصوف ، وجعلها ضوء القمر كيانًا من الفضة والغموض .. جلس عند قدميها وصارحها بحبه .. صوت العاشق تكلم ولم يكن قد مسها من قبل .. لم تردّ عليه لكنه عرف أن كلماته سرتها ...

حدثها يومًا عن البصر ...

بدا لها البصر خيالاً شاعريًا لا يوصف .. وأصغت لوصفه للنجوم والجبال وجمالها العذب كأنما تمارس فعلاً شائنًا .. لم تفهم نصف ما قال ولم تصدق كل ما قال لكنها شعرت بسرور غامض .

وهكذا بدأ حبه يكتسب الشجاعة ..

قرر أن يطلب يدها من (يعقوب) والكبار ، لكنها خشيتَ ذلك .. وكانت أختها الكبرى هى من أخبرت أباها أن (نيونز) و (ميدينا ساروتى) متحابان ..

لاقى الأمر معارضة شديدة من البداية ليس لأنهم يقدرونها .. ولكن لأنهم يعاملونه كمجذوب .. كشىء معدوم الكفاءة أدنى من المستوى الذى يُسمح به للرجل .

شقيقاتها عارضن بشدة لأن هذا يجلب العار على رءوسهن .. وبرغم كون (يعقوب) قد بدأ يميل إلى

الفتى ، فقد قال : إن هذا لن يصير .. وثار الشباب على فكرة تعكير جنسهم وتكدير نسبهم ..

لكن (يعقوب) العجوز كان مشفقًا على ابنته الصغرى وأحزنه أن يجدها تنتحب على كتفه ..

- « أنت ترين واعزيزتى أنه أحمق .. لا يفعل أى شىء بشكل صحيح .. »

- « أعرف .. لكنه أفضل مما كان .. وهو قوى وطيب القلب .. وهو يحبنى يا أبى وأنا أحبه .. »

تضايق (يعقوب) من إجابتها وضايقه أكثر أنه كان يحب الفتى .. لذا راح يجلس مع الشيوخ ليقول لهم :

- « لقد غدا أفضل مما كان .. وربما - يومًا ما - نجده عاقلاً مثلنا ..»

فكر أحد الشيوخ قليلاً ثم توصل إلى حلّ ..

كان هو طبيب هؤلاء القوم ، وكان له عقل فلسفى مبتكر .. وقد راقت له فكرة شفاء (نيونز) ..

قال لـ (يعقوب) :

- « لقد فحصت (بوجوتا) .. إن المسألة واضحة لى .. ويمكن شفاؤه دون شك .. »

قال (يعقوب) فى رضا :

- « لطالما تمنيت ذلك .. »

- « إن عقله مريض .. »

همهم الشيوخ معربين عن موافقتهم .. فأردف الطبيب :

- « هذان .. » - وأشار إلى وجهه - « هذان الشيئان الغامضان اللذان يسمونهما العينين .. إنهما منتفختان عنده وعليهما أهداب وجفناه يتحركان .. لهذا يعانى مخه من التهيج والتشتت .. »

- « وبعد ؟ »

- « لهذا أقول بشىء من يقين : إننا - كى نشفيه - نحتاج إلى جراحة بسيطة .. إزالة هذين الجسمين المزعجين .. »

- « وعندئذ يعود إلى صوابه ؟ »

- « سيغدو عندئذ مواطنًا يثير الإعجاب .. »

صاح (يعقوب) فى مرح :

- « حمدًا لله على نعمة العلم !»

وهرع ليزفَّ النبأ السارّ إلى (نيونز) ..

★ ★ ★

كان ردّ فعل (نيونز) مخيبًا للأمل ..

قال (يعقوب) :

- « إن المرء ليحسب من نبرة صوتك أنك غير راغب فى ابنتى .. »

وحاولت الفتاة إقناعه .. ولكنه قال :
- « أنت تريدين حرمانى من هبة الإبصار .. »
هزّت رأسها ..
أردف :
- « تلك الأشياء بارعة الجمال .. الزهور .. نبات الحزّاز بين الصخور .. السماء القصية بغيومها .. الغروب .. النجوم .. وأنت .. كفانى بالبصر أنه يرينى وجهك العذب ويديك المتعانقتين .. وأنتم تريدون لى أن أتوارى تحت سقف الظلام الذى سجن خيالكم فيه ؟ كلا .. لن تريدى هذا لى .. »
قالت :
- « أحيانًا .. أتمنى أن ...... »
ثم توقفت عن الكلام .. فرجاها أن تكمل ..
- « أحيانًا .. أتمنى ألا تتكلم بهذه الطريقة .. »
- « أيةَ طريقة ؟ »
- « أعرف أنه جميل - أعنى خيالك - وأنا أحبه .. لكن .. »
- « لكن ...؟ »
واعتدل فى وقفته وتساءل :
- « تعنين أننى .. ينبغى أن ....؟ »

وبدأ يفهم بسرعة ..
شعر الحنق على مسار الأمور وبالشفقة على عجزها عن الفهم ..
وأدرك من شحوبها كيف أن روحها تضغط بعنف على الأشياء التى لا تجرؤ على التلفظ بها ..
بعد برهة سألها بلطف :
- « ولو أننى وافقت على هذه الجراحة ؟ »
ارتمت على صدره ولفت ذراعيها حول عنقه وبكت بحرقة :
- « ليتك تفعل !.. ليتك تفعل ! »

★ ★ ★

لم ينم (نيونز) طوال الأسبوع السابق للجراحة .. الأسبوع الذى أريد به إعداده ؛ ليكون لائقًا بالعمى .. وأن يرتفع من مستوى العبودية والانحطاط إلى مستوى المواطن المحترم المكفوف ..
راح يقضى ساعات الصباح - حين يغفو الجميع - فى التجوال بلا هدف ..
لقد وافق .. لكنه لم يكن واثقًا من الصواب بعد ..
إنها آخر أيام الإبصار بالنسبة له ..

وقضى دقائق مع (ميدينا ـ ساروتى) قبل أن تنام .
قال لها :
ـ « غدًا .. لن أرى ثانية .. »
ضغطت يديه بقوة .. وهمست :
ـ « يا قلبى ! »
وأردف :
ـ « لن يؤذوك إلا قليلاً .. ستتحمل الألم يا حبيبى .. من أجلى .. لو كان بوسعى أن أمنحك عمرى لفعلت .. »
غرق فى الشعور بالحسرة على حاله وحالها ..
تأمل وجهها الجميل للمرة الأخيرة .. وهمس :
ـ « وداعًا ..! »
وابتعد فى صمت ..
كان يزمع الذهاب إلى مكان منعزل تبدو فيه المروج مزهوة بزهر النرجس .. ويبقى هناك حتى ساعة الأضحية ..
لكنه رفع عينيه فرأى النهار ..
النهار كملاك يرتدى درعًا ذهبية ويمشى عبر المنحدرات ..
عندئذ بدت له حياته فى الوادى وحبه وكل شىء مجرد لطخة آثمة .. ولم يَعُد كما انتوى .. بل واصل التقدم ..

خرج من السور .. واجتاز حاجز الصخور .. وراح يتذكر العالم الحرّ العظيم الذى جاء منه .. العالم الذى كان كله ملكًا له .. و (بوجوتا) بلده .. عظيمة نهارًا .. غامضة ساحرة ليلاً ..
تذكر رحلات النهر والعالم الواسع والقرى والغابات والصحارى واندفاع الأنهار ..
والبحر العظيم بآلاف الجزر .. ثم السماء .. لون السماء .. الأزرق الذى يفوق الوصف .. بحر النجوم السرمدي ..
راحت عيناه تمسحان ستار الجبال ..
لو أنه تسلق هذا الممر إلى المدخنة الثلجية الصاعدة .. ثم نفذ بين الأشجار صاعدًا .. وبعد هذا ؟ بعدها يصل إلى السفح ويبحث عن مخرج .. وبعدها ؟
ربما يمكن للمرء أن ينفذ إلى أعلى الجليد الكهرمانى نحو قمة الجبال ..

★ ★ ★

نظر إلى القرية من جديد ..
وتذكر (ميدينا ساروتى) .. لكنها بدت له ضئيلة بعيدة .
استدار نحو الجبال .. وراح يتسلق ..

★ ★ ★

وحين غربت الشمس كان فى مكان عال بعيد ..

لقد تمزقت ثيابه وتلوثت أطرافه بالدم وملأت الكدمات جسده .. لكنه رقد مبتسمًا يرمق النجوم .... وكان سعيدًا ...

ومن بعيد لاح وادى العميان كجحر على بعد ميل منه ، غارقًا فى الضباب والظلال .. وقد بدأ سكانه يومًا جديدًا من العمل ..

وادى العميان الذى ظن أنه سيكون ملكًا له ..

(أبريل ١٩٠٤)

★ ★ ★



غزاة البحر

غزاة البحر

- ١ -

ظل العلم يجهل كل شيء عن النوع المسمى (هابلوتوثس فيروكس) حتى وقعت تلك الأحداث المذهلة فى (سيد ماوث) .. كل ما كان لدى العلماء هو ممسّ مهضوم وجدوه قرب جزر (آزور) ..، وجسد متحلل وجدوه قرب (لاندز إند) بوساطة السيد (جننجز) فى عام ١٨٩٦

ولا يخيم الظلام على أى مجال من مجالات علم الحيوان مثلما يخيم على (الرأسقدميات) التى تعيش فى أعماق البحر .. وقد كانت مجرد مصادفة هى التى جعلت أمير (موناكو) يكتشف اثنى عشر نوعًا جديدًا منها فى عام ١٨٩٥ وهى المصادفة التى وجد فيها ذلك الممسّ الذى تحدثنا عنه ..

ويبدو أن تلك المخلوقات العملاقة التى تعيش فى أعماق البحر ستبقى أبدًا لغزًا بالنسبة لنا .. لأننا لا نجد العينات إلا فى ظروف غير متوقعة ..

فمثلاً فيما يتعلق بالـ (هابلوتوثس فيروكس) ؛ نحن نجهل موطنها .. تمامًا كما نجهل أماكن توالد أسماك

الرنجة ومسارات هجرة (السلامون) ... ولا يستطيع علماء الحيوان أن يفسروا لنا سبب ظهورها المفاجئ على سواحلنا .. ربما كان ذلك بسبب الجوع الذى يدفعها لمغادرة الأعماق .. لكن الأصوب هو أن نتحاشى المناقشات غير المجدية وأن نبدأ فى قصتنا فورًا ..

كان أول رجل يرى الـ (هابلوتوثس) — بعبارة أخرى — أول رجل حىّ .. لأن المؤكد الآن أن وفيات الغرق وحوادث الزوارق التى اجتاحت خلجان (ليفربول) و (ديفون) فى أول مايو كانت بسبب تلك الكائنات كان هذا الرجل تاجر شاى متقاعدًا يدُعى (فيزون) .. وقد توقف فى (سيدماوث) لفترة ..

كان الوقت ظهرًا وهو يمشى من (سيد ماوث) إلى خليج (لادرام) ؛ حين أثار اهتمامه ما بدا له كحشد من الطيور تتقاتل على شيء له لون أبيض متورد فى ضوء الشمس ..

كان هناك الكثير من النوارس تلتمع بشكل يخطف البصر فى النور ، وبدا له حجمها الصغير مقارنة بما تلتف حوله .. زاد هذا من فضوله إلى حد كبير ..

ولما لم يكن لديه شيء أفضل يسلّى به نفسه ؛ أزمع أن يرى كنه هذا الجسم بدلاً من السير إلى (لادرام) ..

وقرر أن هذا بالتأكيد سمكة كبيرة الحجم رماها الموج وهى الآن تقاوم الهلاك .. من ثم راح يهبط المنحدر ذا الدرجات وهو يتوقف من آن لآخر ليأخذ شهيقًا عميقًا .

حين وصل إلى أسفل كان بالتأكيد أقرب إلى هذا الجسم مما كان .. لكن الشىء بدا له أكثر قتامة وعدم وضوح .. وما كان وردى اللون فيه توارى الآن وراء صخور غطتها الطحالب ..

لكن الرجل أدرك أن الشىء مكون من سبعة أجزاء مستديرة .. وقد التحمت أو انفصلت ، وأن الطيور تحدث ضوضاء مستمرة وصراخًا لكنها تهاب الشىء وتأبى الدنو منه ..

مزق الفضول مستر (فيزون) .. وراح يشق دربه بين الصخور التى أبلاها البحر ، وقد وجد أن الطحالب المتراكمة فوقها قد جعلتها زلقة إلى حدّ غير معقول ..

توقف .. وانتزع حذاءه وجوربيه وثنى سرواله إلى الركبتين .. وأحسّ بمتعة يعرفها كل إنسان .. متعة العودة إلى أيام الصبا .. على أى حال .. من المؤكد أنه يدين لهذا العمل بحياته ..

وصل إلى مقصده مطمئنًا إلى الأمان المطلق لهذا البلد من كل أنواع الحيوانات غير المرغوب فيها ..

وتحرك الشىء مهتزًا .. لكنه لم يبال بـه .. لم يبال حتى وصل إلى الصخور .. عندها فقط أدرك الطبيعة المهولة لهذا الكائن .. وجاءه هذا الإدراك بشكل مفاجئ .

ابتعدت الأجسام المستديرة عن بعضها .. وأدرك أن اللون الوردى هو جسم آدمى تم التهامه جزئيًّا .. وإن استحال عليه معرفة أجسم رجل أم امرأة ..

أما الأجسام المستديرة ذاتها فكانت غريبة الشكل .. تشبه الأخطبوط إلى حد ما .. لها ممسّات عملاقة طويلة جدًا ومرنة وقد التفت حول نفسها على الأرض ....

الجلد براق كجلد مدبوغ لا يسرّ الناظرين .. بينما الممسات تحيط بالفم وقد أعطى هذا المشهد مع العينين الذكيتين الكائن كله إيحاء غريبًا بوجه آدمى ..

وأدرك الرجل أن هناك سبعة أو ثمانية من هذه المخلوقات .. وعلى بعد عشرين ياردة ووسط مياه المدّ التى تعلو تدريجيًا كان هناك اثنان آخران يخرجان من الماء ..

تمددت الأجساد على الصخور ، ترمقه عيونها فى اهتمام شرير لكن لا يبدو أن الخوف قد انتاب مستر (فيزون) .. ولا يبدو أنه أدرك الخطر المحيق به ..

لكنه ـ بالتأكيد ـ اشمأزّ وشعر بالتوتر من تلك المخلوقات العجيبة التى تتغذى على اللحم الآدمى ..

فكر فى أنها قد ظفرت بجسم غريق .. فصاح فيها محاولاً إرغامها على العودة للماء ...، ولما وجد أنها لم تبال به التقط صخرة كبيرة ورماها على واحد منها .

وهنا ـ وهى تحرّر ممساتها ـ بدأت المخلوقات تتحرك نحوه .. وهى تزحف فى تصميم واضح وتصدر صوتًا ناعمًا من بين صفوفها ...

هنا فقط أدرك مستر (فيزون) أنه فى خطر ..

صرخ من جديد ورمى حذاءه .. ثم راح يركض ..

وعلى بعد عشرين ياردة توقف واستدار ليرى سرعتها وقدر أنها بطيئة الحركة .. لكنه وجد ممسات أولها تتلمس الصخرة التى كان يقف عليها منذ ثانية !

هذه المرة صرخ صرخة ثالثة وراح يثب .. يتعثر .. ينزلق محاولاً الوصول إلى الشاطئ .. ولم يدر من قبل كم كانت المسافة كبيرة .. وهنا رأى عاملين عاكفين على إصلاح سلم على الشطّ غير مرتابين فى الشىء الرهيب الذى يجرى بهما ، وكأنهما من عالم آخر .. المخلوقات تتحرك فى الماء خلفه على بعد خطوات ..

تعثر .. كاد يقع فى الماء ...

طاردته حتى الشاطئ .. ولم تتركه إلى أن بلغ العاملين ..

فراح الرجال الثلاثة يقذفونها بالحجارة ثم ركضوا إلى (سيد ماوث) بحثًا عن العون وعن قارب .. حتى يستنقذوا الجسد الممزق من تلكم المخلوقات الشرهة ..

ـ ٢ ـ

وكأنما لم يلق ما يكفيه من المخاطر ؛ استقل مستر (فيزون) القارب ليحدد لمن معه الموضع الذى وقعت فيه مغامرته ..

كان المدّ قد ولّى ، واحتاج الأمر دورانًا لا بأس به بالقارب ليصلوا إلى البقعة .. لكن الجسد كان قد اختفى .

كانت الرؤية عسيرة تحت مستوى القارب .. فيما عدا غابة من (اللاميناريا) وسمكة هنا أو هناك ..

شعروا بخيبة أمل .. فهم قد أعدوا أنفسهم للمغامرة .

وهنا رأوا واحدًا من المخلوقات يسبح متجهًا للبحر .. وهو يتحرك حركة لولبية عجيبة ذكرت مستر (فيزون) بدوران بالون حول نفسه وهو مربوط بخيط ..

تحرك الماء .. واجتاحت دوامة غابة (اللاميناريا) للحظة .. استطاع بعدها القوم أن يروا اثنين من هذه المخلوقات ، وهما يتقاتلان حول ما يبدو أنه جزء من جسد الغريق ..

وسرعان ما عادت خيوط (اللاميناريا) الخضراء تغطى ذلك المشهد .. راح الرجال ـــ الذين تهيجت مشاعرهم ـ يضربون الماء بالمجاديف ويصرخون .. وعلى الفور رأوا حركة صاخبة بين الطحالب .. وعندها بدا لهم قاع الماء كله زاخرًا بالعيون !..

ـ « يا للبشاعة ! » ـ صاح أحد الرجال ـ « إن هناك عشرات منها ! »

وبدأت الأشياء ترتفع من الماء نحوهم ..

وفيما بعد وصف مستر (فيزون) لكاتب هذه السطور ذلك المشهد .. لقد بدا له كأنما استغرق وقتاً لا بأس به لكن من الواضح أنه لم يستغرق سوى ثوان معدودة ..

فى البدء لم يروا سوى أعين .. ثم رأى الممسات تخرج من كل صوب باحثة هنا وهناك .. ثم إن هذه الأشياء راحت تتضخم حتى غطت القاع كله .. ورأوا الممسات تخرج فوق سطح الماء ..

فى جسارة تحسس واحد منها جانب القارب .. كان مليئًا بالممصات والتف حول الدفة كأنما ليغرق القارب أو يصعد إليه ..

أمسك مستر (فيزون) بخطاف .. وهرع نحو الممس وضربه بعنف ؛ ليرغمه على الانسحاب ..

وهنا تلقى ضربة عنيفة على ظهره كان مصدرها صاحب القارب ، الذى أمسك بالمجداف وراح يصد هجمة مماثلة على الجانب الآخر ..

وسرعان ما عادت الممسات إلى الماء ....

قال مستر (فيزون) وهو يرتجف :

ـ « من الخير لنا أن نغادر المكان .. »

بدأ الرجال يجدفون .. على حين وقف واحد منهم عند المقدمة ممسكًا بحربة ، مستعدًا لضرب أية ممسات جديدة تظهر ..

المزاج متعكر صامت .. والوجوه شاحبة .. كانوا يحاولون الفرار من المكان الذى هوجموا فيه بشراسة .

لكن المجاديف لم تكد تلمس الماء ؛ حتى التفت حولها حبال أفعوانية مدببة .. التفت حولها وحول الدفة وزحفت إلى سطح القارب بحركة لولبية بطيئة ..

كان التجديف شبه مستحيل ..

صرخ من كان يجدف :

ـ « الغوث ها هنا ! »

فهرع (فيزون) ورجل آخر ؛ ليعيناه على التمسك بالمجداف .. أطلق الرجل ذو الحربة ـ واسمه (إيوان) ـ سبة وراح يضرب إلى جانب القارب .. حشد الممسات الذى ظهر له ..

فى نفس اللحظة حاول الرجلان الآخران استعادة مجدافيهما ..

فتح صاحب القارب مطواته ، وانحنى على جانب القارب ، وراح يمزق الأذرع الملتفة حول المجدافين ..

وألقى مستر (فيزون) نظرة إلى البحر وهو يرتجف وأسنانه تصطك من اهتزاز القارب ..

عندها رأى على بعد خمسين ياردة قاربًا فوق أمواج المدّ .. قاربًا به ثلاث نساء وطفل .. وكان هناك نوتى يجدف .. ورجل ذو قبعة من القش وقف على ظهر القارب يحييهم ..

فى البدء فكر (فيزون) فى أن هذا معناه الغوث .. ثم تذكر معنى وجود طفل ..

ترك المجداف ولوح بذراعيه بإشارة مجنونة .. وتوسل إلى المجموعة أن يرحلوا « بحق السماء ! » .

ومن الجميل هنا أن نلاحظ تواضع مستر (فيزون) الذى لم ير بطولة فى هذا العمل .. لكنه كان عملاً بطوليًا حقًا ؛ لأن المجداف قد غاص تحت الماء وعاد يطفو على بعد عشرين ياردة ..

هنا شعر بالقارب يهتز من تحته .. وسمع صرخة رعب مخيفة من (هيل) ـ صاحب القارب ـ مما جعله ينسى القادمين ..

استدار ليرى (هيل) وقد تقلص وجهه ألمًا ورعبًا ، وذراعه اليمنى قد تدلت على جانب القارب بينما شىء ما يجذبها بقوة ..

ـ « أوه .. أوه ! أوه »

من العسير أن نعرف ما حدث بالضبط ..

كل ما نعرفه هو أن القارب قد مال بشدة .. وأن (إيوان) والآخرين راحوا يضربون الماء بالمجداف والحربة على جانبى ذراع الرجل ..

كان (هيل) قوى البنيان .. وبذل جهدًا جهيدًا حتى هب واقفًا .. وبالفعل أخرج ذراعه من الماء .. وكانت

الذراع ملفوفة بخيوط بنية معقدة .. وظهرت فوق سطح البحر عين لامعة لأحد الوحوش التى هاجمته .. ظهرت للحظة ..

الآن يميل القارب أكثر ويتدفق الماء بغزارة إليه ..

عندها انزلق (هيل) ليسقط من جانب القارب إلى الماء .. اصطدم حذاؤه بركبة (فيزون) حين حاول هذا أن يمسكه .. وفى الثانية التالية أحاطت به الممسات .. قاومها مقاومة متشنجة قصيرة ثم غاص إلى الماء .. واعتدل القارب من جديد ..

وقف (فيزون) يتأرجح ليسترد توازنه وقد أدرك أن المعركة قد قربت القارب من الصخور المغطاة بالطحالب .

خلال ثانية كان قد انتزع المجداف من (إيوان) .. وضربه فى أرض القارب ووثب .. فشعر بقدميه تنزلقان فوق الصخور الزلقة .. تعثر .. وقف على قدميه .. تعثر ثانية ..

- « خذ الحذر ! »

دوى صوت أحدهم .. واصطدم به جسم عملاق ..

فسقط (فيزون) أرضًا وهو يسمع صرخات مختنقة متحشرجة حسب مصدرها (هيل) ...

وثب فوقه شخص ما .. واندفع دفق من الماء الرغوى فوقه .. نهض على قدميه ولم ينظر للماء .. ركض بأسرع ما جعله ذعره يركض .. ورأى رجلين يركضان أمامه مبتعدين ...

نظر وراءه إلى الماء .. كان مذهولاً من سرعة الأحداث منذ برزت لهم تلك الرأسقدميات من الماء .. كان يتصرف بأسرع مما يستطيع فهم تصرفاته .. والآن فقط يشعر أنه صحا فجأة من كابوس شيطانى .. السماء بلا غيوم تلتمع بشمس الظهيرة .. والبحر يئن تحت ضيائها غير الشفيق ..

كل ما حدث قد ولّى كأنما لم يحدث قط ..

نظر إلى الوراء .. فرأى قاربين مقلوبين فى عرض البحر ..

- ٣ -

كانت هذه هى (هابلوتوتش فيروكس) تعلن عن وجودها على ساحل (ديفونشاير) ..

وحتى هذه اللحظة تعتبر هذه أخطر اعتداءاتها ..

إن قصة مستر (فيزون) ، مع حوادث الاختفاء المتكررة ، وهروب السمك من هذا الساحل فى ذلك العام .. كل هذا يشير إلى أن وحوش القاع هذه كانت تمرح تحت خط الماء فى هذا الساحل ..

أعرف أن هناك من يرجحون هجرة الجوع كقوة دفعت تلكم الوحوش إلى المجيء ؛ لكن ـ من ناحيتى ـ أفضل تلك النظرية البديلة التى اقترحها (همزلى) ..

يرى (همزلي) أن مجموعة من هذه المخلوقات تزودت باللحم البشرى بعد غرق قارب بينها .. ودفعها هذا لمغادرة موطنها المعتاد .. حتى وصلت إلى شواطئنا ..

يبدو لى أن شهية هذه الوحوش قد أشبعها التهام أحد عشر إنسانًا ، لأن القارب الآخر كان يحمل عشرة أشخاص .. ولا يوجد دليل على وجود المخلوقات فى مكان آخر من (سيد ماوث) يومها ..

وعندما انتصف الليل دوت صفارة مذعورة من قارب فى وسط البحر على بعد ميلين جنوبى غرب (سيد ماوث) ، ورأى البعض فانوسًا يرتفع ويهبط بطريقة غريبة ..

هرعت القوارب الدانية نحو مصدر الاستغاثة ، واتضح أن راكبى القارب قد رأوا حقًا تلك المخلوقات تمرّ تحت قاربهم .

يبدو أن هذه الكائنات ـ كأكثر كائنات الأعماق ـ كان

لها وهج فوسفورى وقد بدا منظرها مرعبًا فى سواد الماء .. وكانت ممساتها مطوية كأنما هى نائمة .. بينما تتحرك ببطء نحو الجنوب ..

لكن القوارب التى جاءت لم ترغب فى مطاردة هذه الكائنات ..

نحن لا نعلم اتجاه هذا السرب برغم كون الساحل الجنوبى الغربى يعلم كله بوجوده ....

بعد هذا بأسبوعين وثلاثة أيام ظهر (هابلوتوثس) على رمال (كاليه) .. وكان حيًا لأن شهودًا عديدين رأوا ممساته تتحرك .. وقد قام سيد يدعى (بوشيه) بإطلاق الرصاص عليه ..

وكان هذا آخر ظهور لـ (هابلوتوثْش) حىّ ..

إلا أنه فى اليوم الأخير من (يونيو) كان المستر (إجبرت كين) ـ رسام ـ يستحمّ قرب (نيولين) .. وفجأة صرخ ولوح بذراعيه ثم جُذب إلى الأعماق ..

ولم يحاول صديق يستحم بقربه أن ينقذه ، بل سبح إلى الشاطئ فورًا ..

وهذه هى آخر حقيقة تقال عن غزاة البحر هؤلاء .. ومن سبق الأحداث أن نقول : إن هذا هو الهجوم الأخير لتلك المخلوقات الشنيعة .. لكننا نعتقد ـ وبالطبع نأمل ـ أنها قد عادت لأعماق البحر .. إلى الأعماق المظلمة التى غادرتها دون سبب واضح .

(ديسمبر ١٨٩٦)

★ ★ ★



القلنسوة الأرجوانية

كان مستر (كومبس) يشعر بالسأم من الحياة ..

لقد غادر داره التعسة شاعرًا بالسأم لا من وجوده هو فحسب ؛ بل من وجود كل إنسان سواه ..

وعبر ممر (جازويرك) مشى ليتفادى المدينة ، واجتاز الجسر الخشبى ؛ ليصل إلى أشجار الصنوبر ، بعيدًا عن رؤية وسماع أى وجود إنسانى .. وراح يردد دون كلل أنه لن يتحمل المزيد ...

كان رجلاً شاحبًا له عينان سوداوان وشارب دقيق كث ، وله ياقة مرتفعة قليلاً مما يعطيه ايحاء بازدواج الذقن ... ومعطفه - برغم كونه رثًا - مطعم بالإستراكان ..

وكما قالت له زوجته - فى الأيام الخالية السعيدة قبل زواجهما - كان مظهره له صبغة عسكرية ما ..

وكما تقول له زوجته الآن - ويا له من شىء مخيف أن تقوله زوجة لزوجها - فهو يبدو كدودة صغيرة .. ولم يكن هذا أسوأ تشبيه أطلقته عليه ..

كانت هناك من تُدعى (جينى) .. وهى صديقة زوجته ، ومن دون دعوة كانت تأتى للعشاء فى كل أحد مبارك .. كانت امرأة صاخبة تهوى الألوان الفاقعة والضحك المبتذل .. وقد فاقت كل سخافاتها السابقة هذا الأحد حين أحضرت معها شابًا مزخرفًا مثلها للعشاء فى دار مستر (كومبس) ..

وجلس مستر (كومبس) فى بلاهة يرمق زوجته تثرثر بالسخافات مع ضيفيها وتضحك بصوت عال .. حسن .. على كل حال لقد تحمل هذا .. وبعد العشاء لابد أن تنهض مس (جينى) إلى البيانو لتعزف صخبًا لا ينتهى .. إن الدم واللحم لم يخلقا لاحتمال كل هذا .. سيسمع كل الشارع هذا الصخب .. ولسوف تتدهور سمعته .. عندها أراد أن يتكلم ..

شعر بأنه يشحب ولاقى عسرًا فى التنفس .. كان جالسًا على مقعد جوار النافذة ، وقد انتخب الضيف لنفسه (الشيزلونج) المريح .. حين أدار (كومبس) وجهه وصاح كأنما يوجه إنذارًا :

- « إنه الأحد ! »

ثم عاد يكررها :

- « الأحد ! »

استمرت (جينى) تعزف .. أما زوجته فسألته وهى تتصفح بعض الكراسات الموسيقية فوق البيانو :

- « وما فى ذلك ؟ ألا يستطيع القوم أن يسرّوا عن أنفسهم ؟ »

- « لا أمانع فى التسلية العاقلة .. لكنى لا أسمح بهذا الصخب فى دارى فى يوم أحد .. »

توقفت (جينى) واستدارت بجسدها فوق مقعد البيانو :

- « وما العيب فى عزفى ؟ »

انفتح (كومبس) بعنف كما يحدث مع كل الرجال العصبيين الذين لا خطر منهم :

- « اعتدلى على هذا المقعد .. فهو لا يحتمل الأثقال »

- « لا تلق بالاً للأثقال .. ماذا كنت تقول عن عزفى من ورائى ؟ »

ابتسم الضيف فى شفقة ، ونفث سحابة من دخان السيجار ..

وقالت الزوجة لصاحبتها شيئًا من قبيل « لا تهتمى به .. وواصلى العزف يا (جينى) .. »

- « سأفعل ! »

وصاحت الزوجة :

- « لم أر رجلاً على شاكلتك قط .. لقد تبدلت تمامًا منذ تزوجنا .. وقبلها كنت .... »

وهنا بدأت (جينى) تواصل قرع المفاتيح .. تام !.. تام !..

هنا صعد الدم إلى رأس مستر (كومبس) فهب واقفًا ورفع صوته :

- « اصغى لى ! لا أريد هذه الضوضاء ها هنا .. »

واهتز معطفه معلنًا عن الكبرياء ..

قال الرجل وهو ينفث دخان السيجار :

- « لا داعى للاحتداد .. »

- « ومن أنت بحقِ الجحيم ؟ »

هنا بدأ الجميع يتكلمون فى الوقت ذاته ..

قال الضيف : إنه مكلف بحماية (جينى) وذلك لأن أمرها يهمه .. وقال مستر (كومبس) إن هذا من حقه فى كل مكان عدا داره هو (دار مستر (كومبس) .. وقالت مسز (كومبس) لزوجها: إنه يجب أن يخجل من إهانة ضيوفه وأنه - كما قلت آنفا - قد تحول إلى دودة صغيرة.

ووصل الأمر ذروته حين طلب (كومبس) من ضيفيه مغادرة الدار .. لكنهما رفضا .. من ثم أعلن أنه سيغادر الدار بنفسه ..

واتجه للمدخل ليأخذ قبعته ، ووجهه يحترق بالنار ودموع الانفعال فى عينيه .. عندها واصلت (جينى) العزف على البيانو ..

تام تام تام !.. حتى حين جذب الباب بعنف وراءه فاهتز البيت كله ..

كان هذا – باختصار – هو سبب تعكر مزاجه .. لهذا يمكننا الآن أن نفهم سرّ سخطه على الوجود كله ..

★ ★ ★

كان هذا هو آخر شهر (أكتوبر) ..

وكانت الطحالب تملأ الخنادق والحفر وتكسو نباتات الشربين .. حينما راح يتذكر قصة زواجه .. كانت مختصرة وعادية ..

الآن يعرف أن زوجته تزوجته لمجرد الفضول ، وللفرار من حياتها السقيمة المملة كعاملة .. وكأكثر طبقتها لم تدرك – بغباء – أن واجبها هو معاونته فى عمله ..

كانت نهمة إلى المتعة وإلى حياة المجتمعات ، وقد أحبطها أن تجد أن قيود الفقر مازالت تحاصرها .. كلما حاول (كومبس) أن يهدئ انفعالاتها ازدادت سخطًا .. لماذا لا تكون لطيفًا ؟

وكان مستر (كومبس) رجلاً وديعًا مسالمًا اعتاد أن يعين نفسه وأن ينكرها .. حتى وصل إلى (الاكتفاء الذاتى) ..

عندها جاءت (جينى) مثلما جاء (مفستوفوليس) الشيطان إلى د . (فاوست) ليجعله يبيع روحه .. وراحت تقنع زوجته بارتياد المسارح و (ما إلى ذلك) .

أضف إلى هذا خالات زوجته وأخوالها الذين دأبوا على زيارتهما ليلتهموا رأس ما لهم ويهينوه ويضايقوا العملاء .. وعامةً ليسودوا حياته ..

لم تكن هذه أول مرة يغادر فيها داره فى غضب ، يقسم بصوت عال إنه لن يقبل المزيد .. لكنه لم يكن من قبل قد وصل إلى هذه الدرجة من مقت الحياة ، ربما ساعدت السماء الرمادية على ذلك .. وربما إدراكه أنه قد وصل إلى الحضيض فى حياته كرجل أعمال .. فلم يبق أمامه سوى الإفلاس .. وبعدها الندم على تلك الزيجة ..

إن موقفه لمحزن .. ورأس ماله كله مربوط بتجارته.. ومعنى أن ينفصل عن زوجته هو الانضمام إلى جيوش المتعطلين فى مكان ما من الأرض ..

إن ترف الطلاق بعيد عنـه .. وتعريف الزواج بأنـه الحياة معًا فى السراء والضراء يناسبه للغاية ...

إن البنائين حين يغضبون على زوجاتهم يركلونهن حتى الموت .. والنبلاء يخونـون زوجاتهم .. أمـا بين الموظفين محـدودى الدخل وأصحاب المحلات فتتفشى عادة الذبح .. ويمكنك أن تثق بكلامى حين أقول : إن عقل مستر (كومبس) راح يفكر فـى وضـع نهايـة مناسبة لإحباطاتـه .. فـراح يفكـر فـى حـدّ الموسى والمسدسات وسكاكين الخبز .. وراح يكتب فى ذهنـه خطابات مؤثرة يذكر فيها أسماء أعدائه ويطلب المغفرة لروحه ..

بعد قليل أفسحت شراسته المكان للأحزان ..

لقد تزوج بنفس المعطف الذى يرتديه الآن .. كانـا يمشيان فوق ذات الدرب ، وكان يكافح ليجمع رأس مال كافيًا ، والبريق اليانع لأيام الزواج الأولى .. ثـم انتهى كل شىء هكذا !..

بدا يفكر فى الموت كحل أخير جذرى ..

فكر فى القناة التى عبرها .. لم لا يغوص فيها للأبد ؟ وبينما هو ينفذ مـا انتـواه رأى القلنسوة الأرجوانيـة .. توقف لحظة وتأملها .. ثم انحنى كى يلتقطها وقد حسبها

حافظة جلدية مزخرفة .. وهنـا أدرك أنها قمة فطر .. فطر أرجوانى من النوع السام .. براق له رائحة حادة .

كانت الرائحة قوية حادة لكنهـا غير منفرة .. كسر قطعة من القشرة فوجد مادة بيضاء كريمية تغيرت خلال عشر ثوان ـ كأنما هو سحر ـ إلى لون أصفر مخضرّ .

كسر جزأين آخرين ليرقب هذه الظاهرة .. أشياء رائعة تلك الفطريات ـ خطر له ـ ولكنها سامة مميتة .. هكذا قال أبوه مرارًا .. سامة مميتة !..

إن الوقت مناسب للحماقات .. لم لا يكون هذا الآن وهنا ؟

تذوق قطعة صغيرة جدًا من الفطر .. كان حاد المذاق إلى حدّ أنه كاد يبصقه ثم بدا له حارًا متبلاً كالمسطردة الألمانية .. ابتلعه كاملاً .. ترى هل أحب مذاقه أم لا ؟ لم يبال بهذا ونسى كل متاعبه فى نشوة الحاضر .. إنـه يلعب مع الموت الآن .. قضمة أخرى ..

ثمة شعور غريب بالتنميل على طرف لسانه وأطراف أنامله .. ونبضه يتسارع ويصفر فى أذنيه ..

ـ « فلأجرب قطعة أخرى ! »

لم تعد قدمـاه ثـابتتين .. لكنـه ترنـح حتـى وصـل لقلنسوة أرجوانية أخرى :

ـ « شـ .. شىء .. لـ .. لذيـ .. لذيذ ! »
واتكفأ على وجهه ..
بعدها نسى كل شىء ....
نهض شاعرًا بالحيرة .. ووضع يده على حاجبه .. لقد حدث شىء ما لكنه لا يذكر كنهه .. لكنه الآن يشعر بالذكاء .. بالحيوية .. وضحك من أعماق قلبه .. هل كان خمولاً فيما سبق ؟ لا يدرى .. لكنه لن يظل كذلك .. إن الضباب يملأ ذاكرته لكنه يذكر شيئًا عن مشاجرة فى الدار .. لم لا يعود لهم ويجلب معه بعض هذا الفطر الجميل ؟ سيملأ قبعته به ..
سيقلب كمى معطفه إلى الخارج ـ على سبيل المرح ـ ويلصق بعض الزهر الأصفر على جيوب معطفه .. ويعود للدار مغنيًا ..

★ ★ ★

بعد ما فارق الدار غاضبًا ؛ توقفت (جينى) عن العزف واستدارت بمقعد البيانو هاتفة :
ـ « يا لها من ضوضاء من أجل لا شىء ! »
قالت مسز (كومبس) :
ـ « هأنتذا ترى ما علىَّ أن أعانيه يا مستر (كلارنس) .. »

قال مستر (كلارنس) فى حكمة :
ـ « إنه رجل مندفع قليلاً .. »
ـ « إنه لا يدرك مركزنا الاجتماعى .. هذا هو ما أشكو منه .. لا يبالى بشىء سوى متجره العتيق ، فإذا حاولت شراء شىء يجعل مظهرنا محترمًا كان الشجار حتميًا .. ويصرخ بأشياء من قبيل (الاقتصاد) .. (الكفاح) من أجل العيش) .. إنه يسهر الليالى مؤرقًا يفكر فى كيفية حرمانى من شلن .. بل لقد حاول مرة إقناعى بأكل زبدة (دورسيه) .. ولو أننى استسلمت لمطالبه .. عندئذ ...... »
قال مستر (كلارنس) مسترخيًا على الشيزلونج :
ـ « لو أن المرء يعرف قيمة المرأة فعليه أن يضحى من أجلها .. عن نفسى لا يمكن أن أفكر فى الزواج حتى فى وضع يسمح لى بأن أتزوج بشكل لائق .. »
قالت (جينى) :
ـ « لا أوافق على ذلك .. فلم لا يطلب المرء عون زوجته طالما هو لا يعاملها بشكل حقير ؟ »
قالت الزوجة :
ـ « لن تصدقانى .. لكنى كنت حمقاء حين وافقت عليه .. ولولا معونة أبى ما كنا وجدنا عربة تقلنا بعد الزفاف .. »

صاح (كلارنس) مصدومًا :

ـ « رباه !.. ألم يدبر هذا لك ؟ »

ـ « قال : إنه يحتاج المال للبضاعة ـ شىء من هذا الهراء ـ وبعد هذا يأتينى حاملاً أوراقًا وأرقامًا يولول من كثرة المصاريف .. لو لم نقتصد هذا العام فلسوف يصيبنا الخراب .. فأقول له : لِمَ لَمْ تتزوج جارية ـ إذا أردت واحدة ـ بدلاً من بنت ناس مثلى ؟ »

دعونا لا نواصل هذه المحادثة العقيمة .. يكفى أن نقول : إنهم كانوا راضين عن رحيل مستر (كومبس) ، وجلسوا جوار النار فترة لا بأس بها حتى جلبت مسز (كومبس) أدوات الشاى ..

وهنا سمعوا ما يدلّ على عودة مستر (كومبس) .. صوت انغلاق الباب ..

قالت الزوجة :

ـ « هو ذا سيدى قد عاد .. غادر الدار كأسد وعاد كحمل ..»

هنا انفتح الباب وبرز مستر (كومبس) .. لكنه لم يكن هو .. لقد مزق الياقة العالية بإهمال عن عنقه .. وقبعته ملأى بالفطر ، وزهور صفراء تحيط بخاصرة معطفه ..

أما عن وجهه فكان شاحبًا .. عيناه واسعتان تلتمعان .. وشفتاه قد تراجعتا كاشفتين عن أسنان مزمجرة ..

ـ « تسلية عاقلة !.. مرح !.. رقص !.. »

قالها ومشى ثلاث خطوات مترنحة راقصة .. ثم انحنى ..

صرخت مسز (كومبس) :

ـ « جيم ! »

على حين فتح (كلارنس) فاه فى غباء ..

قالت (جينى) بصوت واهن :

ـ « إنه ثمل ..! »

لكنها لم تر قط رجلاً بهذا الشحوب .. ولا هاتين العينين المتسعتين ..

مدّ مستر (كومبس) يده بحفنة من الفطر .. وصاح فى (كلارنس) .

ـ « صنف حلو !.. مدّ يدك ! »

وهنا بدأ يثور .. وصرخ بصوت لم تسمعه زوجته من قبل :

ـ « هذا بيتى .. وأنا السيد هنا .. كُلْ ما أعطيه لك ! »

هنا أعلن (كلارنس) عن جبنه .. لم يتحمل النظرة المجنونة فى عينى (كومبس) .. فنهض من مقعده وتراجع ..

عندها وثب (كومبس) إليه .. وجدت (جينى) أن هذه فرصتها .. فأطلقت صرخة وهرعت للباب .. لحق الزوج بها .. وحاول (كلارنس) التدخل لكن عربة الشاى تهشمت إذ أمسك به (كومبس) من ياقته وحاول أن يدس القطر فى فمه ..

اختبأت (جينى) فى المتجر الذى كان ملحقًا بالبيت .. أما (كلارنس) ففرّ إلى المطبخ .. واندفعت الزوجة خارج الغرفة وأغلقت الباب وراءها لكن المفتاح كان بالداخل .. من ثم هرعت إلى الطابق العلوى وأغلقت غرفة النوم وراءها ...

خرج الزوج (المرح) من الغرفة .. وتحير بين ثلاثة اتجاهات مختلفة ثم أزمع الهجوم على المطبخ حيث كان (كلارنس) يحاول جاهدًا غلق الباب .. ثم تخلى عن محاولته وحاول الفرار من الباب الخلفى لكنه وقع فى الشرك قبلها ..

ولما كانت هناك سكاكين وسواطير لحم حولهما ؛ فقد رأى (كلارنس) أن يتظاهر بالمرح ليتفادى أية أحداث مأساوية .. ولاشك هنا أن مستر (كومبس) تلاعب بمستر (كلارنس) حتى النهاية .. لقد بدا الرجلان فى قمة الألفة والمرح كما لو كانا صديقين منذ أعوام ..

وأصر (كومبس) أن يتذوق ضيفه القطر ...، ويبدو لى أن (كلارنس) قد تم جره تحت الحوض ، وتم حك وجهه بفرشاة تنظيف الفرن .. لكنه ظل مصرًا على أن يكون مرحًا .. وعلى كل حال ـ بشكل ما ـ وجد نفسه فى معطفه وقد طُرد من الباب الخلفى .. ممزق الثياب .. مبعثرًا ..

وهنا بدأ مستر (كومبس) يفكر فى (جينى) ..

لقد وجدت نفسها عاجزة عن فتح باب المتجر الأمامى .. لكن الباب الخلفى ظل موصدًا .. من ثم قضت باقى الليلة حبيسة المتجر .

يبدو لى هنا أن مستر (كومبس) عاد إلى المطبخ باحثًا عن المرح .. حيث شرب خمس زجاجات من الشراب المقوى الذى كانت زوجته تحتفظ به لصحتها .. أحدث جلبة مريعة وهو يهشم أعناق الزجاجات بأطباق (جهاز) زوجته ، وغنى أغانى مرحة شتى .. وجرح إصبعه مرة ـ وهو الدم الوحيد الذى سال فى قصتنا هذه ـ وعلى كل حال يمكننا أن نسدل الستار على أحداث هذا الأحد الدامى .. فقد انتهت فى القبو بنعاس طويل عميق ..

★ ★ ★

بعد خمس سنوات .. هو ذا مساء الأحد فى (أكتوبر) من جديد .. ومستر (كومبس) يمشى بين أشجار الصنوبر ..

لم يزل هو ذات الرجل الذى عرفناه .. لكن ذقنه المزدوجة قد تلاشت .. ومعطفه جديد محلى بالمخمل .. قبعته لامعة وقفازاه جديدان .. ويمكن لملاحظ عابر أن يرى انتصاب هامته كرجل يثق بنفسه جيدًا ..

الآن هو سيد له ثلاثة معاونين .. وجواره يمشى شبيه له هو أخوه (توم) الذى عاد من (أستراليا) .. وكان يقول لـ (كومبس) :

- « عمل طيب أيا (جيم) .. وسط هذه المنافسة أنت محظوظ كى تحسن تولى أمورك .. ومحظوظ أن تجد زوجة تعينك مثلما تفعل زوجتك ..! »

قال (كومبس) :

- « بينى وبينك لم يكن الأمر هكذا دائمًا .. »

- « بحق السماء ! »

- « نعم .. لن تصدق هذا .. لكنها كانت مبذرة مشاكسة .. وكنت أنا مسالمًا محبًا فظنت أنها تملك كل شىء .. أؤكد لك يا (توم) .. لم تكن الدار دارى .. »

- « لم أحسب هذا .. »

- « كان كذلك .. لكنى قلت لها : أنا لست دوقًا لأحتفظ بزوجة كأنها حيوان أليف .. لقد تزوجتك لتساعدينى فى كفاحى .. لكنها لم تصغ .. قلت لها : أنا رجل وديع حتى أثار .. لكنها لم تصغ لتحذيراتى .. »

- « وعندئذ ؟ »

- « كذا النسوة دائما .. لم تحسبنى قادرًا على الثورة .. إن النسوة مثلها - وليكن هذا بيننا يا (توم) - لا يحترمن الرجل ما لم يخفنه قليلاً .. لهذا عزمت على أن أريها .. كنت هناك من تدعى (جينى) مع صديقها .. تشاجرنا فانفجرت فيهم .. »

- « أحقًا ؟ »

- « طبعًا .. كنت مجنونًا .. ضربت هذا الشاب لأريها ما بوسعى عمله .. ضربته علقة ساخنة وكسرت أشياء .. أفزعتها حتى فرت إلى غرفة النوم .. »

- « ثم ؟ »

- « فى الصباح قلت لها : الآن ترين كيف أكون حين أُثار .. وبعدها عمت السعادة الدار .. لولا تلك الأمسية لكنت أتسول فى الطرقات الآن ، وعائلتها تتذمر من فقرى . أنا أعرف أسلوبهم .. »

قال الأخ (توم) متأملاً :

- « النساء مخلوقات عجيبة .. »

- « يحتجن يدًا صارمة .. »

هنا هتف (توم) وهو يتأمل المشهد أمامه :

- « ما أكثر الفطريات هنا !.. لا أفهم نفعها بتاتًا .. »

قال مستر (كومبس) :

- « أعتقد أن الله خلقها لحكمة عالية .. »

وكان فى هذا عرفانًا بالجميل للقلنسوة الأرجوانية التى أصابت هذا الرجل الوديع بالجنون إلى درجة الفعل الإيجابى ؛ ومن ثم تغيير مسار حياته بالكامل .

(رأس السنة ـ ١٨٩٦)



[تمت بحمد الله]

رقم الإيداع : ٢٥٥٧ / ٩٧٧ـ١٦٣ـ٣٩٤ـ٥

المطبعة العربية الحديثة

٨ و ١٠ شارع ٤٧ المنطقة الصناعية بالعباسية

القاهرة ـ ☎ ٢٨٢٣٧٩٢ ـ ٢٨٣٥٥٥١

روايات عالمية للجيب

مكتبة متكاملة
لأشهر الروايات العالمية

وادى المناكب

رحلة أخرى ممتعة مع أفضل ماكتب (هـ . ج . ويلز) من قصص خيالية .. الفرار من مطاردة العميان المحمومة بحثًا عنك .. التخبط فى وادى العناكب .. البحث عن لغز متجر الدمى العجيب .. ثم الانحدار إلى هاوية المحيط .. كل هذا وأكثر تجده بين دفتى هذا الكتيب .. لك .. ولك وحدك ..!

17

العدد القادم

صورة دوريان جراى

الثمن فى مصر ١٥٠ ق
ومايعادله بالدولار الأمريكى
فى سائر الدول العربية والعالم

